

هيرودوت في مصر

القرن الخامس قبل الميلاد

نقله من اليونانية
وهيب كامل



دارالمعارف

تأسست ١٨٩٠

تصميم الغلاف: محمد عطية

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج. م. ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

نقد

هيروودوت

(أ) حياته وفنه

لقد ضمن التاريخ على أبى التاريخ بحفظ قصة حياته فى سجله الذى يوشك أن يسع كل شىء. فليس لدينا من الوثائق ما يتيح لنا أن نقطع برأى فى تاريخ مولده أو مماته أو حادثة من حوادث حياته. وإن الصورة الذهنية التى يمثّلها قراء التاريخ لهيروودوت مستخلصة من كتاب هيروودوت نفسه.

قال جيلبيوس فى كتابه «الليالى الآثينية» (١٥، ٣٣): إن هيروودوت ولد عام ٤٨٤ ق. م. ولكن جيلبيوس ليس حجة معتمدة فى إثبات التواريخ فنأخذ بما قال فى حيطة وحذر. ويبدو من كتاب هيروودوت أن صاحبه قد شاهد بعض حوادث الحرب البيلوبونيزية (٤٣١ ق. م - ٤٠٤ ق. م) فى مرحلتها الأولى. إذن فمن المرجح أن يكون هيروودوت قد عاش بين الحرب الميدية (٥٠٠ ق. م - ٤٧٥ ق. م) التى دفعت بحضارة اليونان إلى ذروة المجد، وبين الحرب البيلوبونيزية التى كادت تودى بهذه الحضارة. فهو إذن كان يتنفس فى العصر الذهبى من التاريخ اليونانى.

ولد هيرودوت في مدينة هاليكارناسوس في إقليم كارية في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى، فإذا أخذنا بما قرره جيلبيوس من تاريخ مولده فقد ولد إذن من رعايا ملك الفرس.

وتعلم في وطنه فأتقن القراءة والكتابة والحساب، ثم عكف على الموسيقى ونهل من معين الشعر فورد منهل هوميروس واغترف منه كلفا منهوما، وتذوق شعر سائر الشعراء. أما النثر، ولم يكن قد بلغ قبله شأوا بعيدا، فقد ألم به ونظر فيه.

ولم تكن الأحوال مستقرة في هاليكارناسوس إذ لم تكن التقاليد الديمقراطية ثابتة الدعائم فيها، فقام فيها طاغية يدعى ليجداموس اضطهد خصومه وتعسف في إيذائهم، وقتل فيمن قتل عم هيرودوت الشاعر بانياسيس. وأغلب الظن أنه نفى مؤرخنا وصادر أملاكه، فهجر موطنه إلى جزيرة ساموس فيما يظهر. فقد كان خبيرا بمواقعها وأحوالها ولعله أتقن هناك اللهجة الأيونية التي كتب بها. لكنه ظل على علم تام بما يجري في موطنه من حوادث، وبالتيارات السياسية المختلفة التي تسوده، وبروح مواطنيه المعنوية. فلما واثته الفرصة رجع إلى وطنه وعاون في طرد الطاغية وتثبيت النظام الديمقراطي. ولكنه - فيما قال المؤرخ سويداس (تحت اسمه) - لم يجد نفسه محبوبا لدى قومه فهجرهم طائعا مختارا إلى مدينة ثوربيوم في الوقت الذي كان أهل أثينا يستعمرونها فيه، ومات في ثوربيوم ودفن في سوق المدينة. تلك رواية سويداس ليس علينا من بأس إذا أخذنا بها فليس هناك ما يناقضها.

وكان هيرودوت شديد الإعجاب بأهل أثينا فزارهم، وروى لهم ما تيسر من قصصه التاريخي، فاعترفوا بما أسداه إليهم من نفع وما قدمه

لهم من متعة؛ فقرر مجلسهم النيابي سنة ٤٤٥ ق.م أن يمنح عشرة طالط مكافأة له على إحسانه. ولم تكن زيارته تلك عابرة ففي تاريخه ما يفيد معرفته التامة بمواقع البلاد ونفسية أهلها مما لا يتيسر إلا بالإقامة الطويلة بين ظهرائي أهلها. وفي أثينا توطدت أواصر الصداقة بينه وبين سوفوكليس الذي أعجب لاشك بكتابات فأتشار إليه في بعض رواياته، وأهدى له مقطوعة من شعره. ويظهر أن شهرة هيرودوت طوقت أثينا كلها وسرت في مختلف طبقاتها، فقد أشار أريستوفانيس إلى «تاريخ هيرودوت» في كثير من مسرحياته، وليست الكوميديا مجالاً للإشارة لغير المعروف المشهور لدى الجمهور.

لعل ذلك هو كل ما نستطيع أن نقره على وجه التحقيق من قصة أبى التاريخ. أما حياته، وهيئته، ورحلاته، ومؤلفاته ومنهج تأليفه فكلها مجال للظن والتخمين والاستنتاج.

فإن مصادرة أملاكه ونفيه وقتل عمه على يد الطاغية، ورجوعه إلى وطنه لطرده الطاغية أمور تشير كلها إلى أنه كان من بيت كبير، له بين القوم حظوة أثيرة ومكانة عالية وصوت مسموع. وإن في رحلاته العديدة البعيدة الشقة في عصر تصعب فيه الرحلة وتبهظ فيه نفقاتها دليلاً على أن الرجل كان ميسر الحال قادراً على الإنفاق على هذه الرحلات. وليس في كتابه بعد ذلك ما ينيير الطريق أمام مترجم حياته. فقد كان من الدروس التي تعلمها عن هوميروس وأتقنها أن يخفى شخصيته في فنه، فلا يتناول نفسه وعواطفه ودوافعه بالبيان والإيضاح. فصارت

الموضوعية غالبية على كل ما قال. فيما عدا ما يذكره أحيانا من أنه رأى هذا الشيء أو ذاك بعيني رأسه، أو ارتحل إلى هنا أو هناك ليقف على الحقيقة بنفسه.

فمتى كانت هذه الرحلات؟ وما السابقة منها وما اللاحقة؟ وكيف دبر أمرها؟ وكيف أنفق عليها؟ وهل صحبه أحد فيها؟ كل هذه أسئلة لا جواب في تاريخه عليها. ولكن الكتاب في جملة شاهد على أنه زار مصر وصعد فيها جنوبا إلى الشلال الأول، وزار سوريا وجاوز بابل وسوسا وهمدان، وتنقل بين شواطئ البحر الأسود وجنوب روسيا، أي أنه ارتحل مسافة ٣١ درجة طول من الشرق إلى الغرب و٢٤ درجة عرض من الشمال إلى الجنوب.

ولكن تاريخ هذه الرحلات كما قلنا مجهول، اللهم إلا ما نعرف من أنه زار مصر بعد عام ٤٥٩ ق.م. وأنه قد زار سكيثيا قبل ذلك التاريخ. وغرضه من هذه الرحلات مجهول كذلك. فهل زار هذه البلاد ليجمع مادة لتاريخه بعد أن اختتم الموضوع في ذهنه فترة طويلة من الزمان؟ أم أنه زار هذه البلاد بدافع من التجارة والربح فجاء تاريخه نتيجة لهذه الزيارات؟ حقا إن هيرودوت زار كثيرا من المرافئ وعنى ببيان طرق النقل، وأظهر معرفة واسعة بالسلع وأنواعها وطرق تمييزها وأسواقها المختلفة مما يرجح الرأي الثاني. ولكن زيارته شملت المراكز الثقافية كما شملت المراكز التجارية، ثم إنه يقول صراحة إنه أبحر من مصر إلى صور ليستوثق من رواية البعض في هرقسل (٤٤)^٣. فإذا كان ترحاله بغية الوقوف على
 ٥ الرقم دائما يغير إلى الفصل.

الحقائق التاريخية وجمع مادة تاريخه بالسمع والمشاهدة أو جمع المخطوطات، فكيف كان يحصل معاشه وقد كان مشرداً منغياً؟ ومن أين له القدرة والخبرة بالقراءة الموجودة حتى استحق ما نال من مكافأة في أثينا؟ أغلب الظن أنه كان يجد من الجاليات اليونانية المغتربة - فيما زار من أصقاع - جمهوراً استمع إلى ما روى من تاريخ، فكسب الشاعر خبرة بفن الإلقاء ورزقا استعان به على الحياة ومتابعة الرحلات.



كان هدف هيرودوت كما أثبتته في مستهل تاريخه هو كتابة تاريخ الحرب اليونانية الفارسية أو الحروب الميدية، ولكنه رأى أنه لا بد للوصول إلى أسباب هذا الصراع العنيف في جذورها البعيدة من وصف نشوء الإمبراطورية الفارسية، فكتب تاريخ ليديا ووصف فتوحات كرويسوس وأعماله مقدمة لنشوء الإمبراطورية الفارسية. وقد غزا الفرس مصر، فكان ذلك إيذاناً باستطراد طويل في وصف مصر وعادات أهلها ورواية تاريخها في كتابه الثاني.

وكانت حملة دارا على الاسكيثيين فاتحة استطراد طويل آخر في وصف سكيثيا وعادات أهلها، ثم تستقيم الرواية بعد ذلك إلى الكتاب التاسع وقد عنون كل كتاب منها باسم ربة من ربوات الفنون الأدبية التسع، وتطرد فيها الرواية بعض الاطراد. فقد كان من واجب المؤرخ عند هيرودوت أن يضيف إلى روايته كل ما من شأنه أن يفتن الجمهور ويثير فيه حب الاستطلاع؛ فالاستطراد محبب إلى قلبه يلجأ إليه بل هو يسعى إليه ليزيد من طلاوة موضوعه وحسن وقعه في النفوس. فجاء

كتابه تاريخا للشرق الأدنى كله ، وموسوعة في معتقدات أهله ، ووصفا للعالم كما عرفه اليونانيون المعاصرون.

هذا الموج المتلاحق من المعارف والمعلومات يتدفق في قوة واصطفاق ينحني أحيانا في استطراد يقصر أو يطول ولكنه يتجمع آخر الأمر حول المواقع الخالدة في تاريخ اليونان ، حول ماراثون وثرموبيلاي وسلاميس وبلاطيا . فما هي القوة التي تدفع هذا التيار - على الرغم من هذه الانحناءات الكثيرة - إلى هدفه في قوة وسرعة ويسر؟ هي لا شك الوحدة الفنية . وأنا لا نعنى وحدة الموضوع فالاستطراد وحده كان كفيلا بالقضاء عليها ، ولا وحدة المكان فالرحلات المتعددة قمينة وحدها بإخفائها ، ولكننا نعنى وحدة الحركة التي تتجلى في تاريخه كما تتجلى في روائع الأدب المسرحي اليوناني .

كانت هذه الموسوعة التاريخية مستقاة بالطبع من مصادر متعددة ، تصف حضارات لا يعرف المؤرخ لغاتها ، ولم تكن كتابة التاريخ قد نحت نحو العلم بعد ، فقد كانت يومئذ فنا أدبيا خالصا . ولم يكن تمحيص الروايات وترتيب المصادر بحسب جدارتها بالاعتماد من هم المؤرخ في القرن الخامس قبل الميلاد . فإذا اختلفت المصادر هذا الاختلاف البين ، وتعددت الروايات في الشيء الواحد تعددا كبيرا ولم يكن للمؤرخ منهج واضح يعصمه من الزلل كلما التوت به السبل أو تشعبت به الطرق ، كان من الطبيعي أن تجيء روايته متفاوتة من حيث قربها من الحقيقة أو بعدها عنها . وهكذا نجد صفحات هيروودوت تقترب تارة من الحق

حتى تكاد تصيب كبده، وتجانبه أحيانا حتى لتكاد تجافيه. وليس على المؤرخ في ذلك كله من بأس، فقصارى جهده أن يثبت ما سمع وأن يثير الشك في نفس جمهوره إذا لم تكن الرواية جديرة بالتصديق. ولما كانت مؤانسة الجمهور هدفة الأول فقد عمد إلى القصص الشعبي يزجيه له في عذوبة جرس وسلاسة عبارة، ولو كان هذا القصص مما لا يرقى إلى مرتبة التاريخ. ولكن القصص الشعبي يدخل هو كذلك في مجال التاريخ، ومعتقدات قوم بشأن أنفسهم في فترة من الفترات هي كذلك من لباب التاريخ.

ويمتاز فن القصة عند هيرودوت بخصلة لا تفارقه هي ولعه الشديد بتصوير الشخصيات مستقلة متفردة كما يتجلى في صور قورش وقمبيز ودارا واكرزكسيس وملوك أسبرطة، وثمانستكليس وأريستيديس من زعماء أثينا. وقد تجلت قدرته هذه في كتابه الثاني في مصر في صورة أمازيس (١٦١ - ١٦٣، ١٧٢ - ١٧٦). ولقد دفعه هذا الولع بتصوير الشخصيات إلى العناية بالجانب الشخصي من حياة أبطال قصصه، ليضفي على صورها حياة وحركة كما نرى في قصة تجربة بسماستيك (٢) وفي قصة كنز رامبسينيتوس (١٢١).

ولم يقتصر ولعه بتصوير الشخصيات على تصوير أبطال قصصه من الأفراد، بل تعداه إلى تصوير شخصية الشعوب التي تصطرع في ميدان تاريخه الفسيح، فقد ميز صورها في أذهان جمهوره بما رسمه من مقوماتها ومشخصاتها؛ فالمصري خاشع متدين، والفارسي مترف خانع، والآثيني شهيم متهور، والأسبرطي أناني متمتر.

وأجاد هيرودوت وصف الشعوب البدائية من الاسكيثيين والتراقيين وأهل شمال أفريقيا، فأبرز مميزاتهم وخصائصهم ونقذ إلى دروب نفوسهم ومسالك تفكيرهم. ولكنه لم يوفق توفيقا كبيرا في فهم أصحاب الحضارات الشامخة والتراث الفكري التالد، من بابليين ومصريين وليديين.

وثمة خصلة أخرى لا تفارق هيرودوت هي تجرده من عقائد أهل زمانه الموروثة ونظرته إلى الأشياء نظرة أصيلة ذاتية، فأعانه هذا على فهم الحضارات المختلفة وبيان وجوه امتيازها عن الحضارة اليونانية حتى اتهمه بعض النقاد بالتعصب للأجانب وتفضيلهم على اليونانيين. واتهم هيرودوت أحيانا بغرارة الذهن وسرعة التصديق ولكن نظرة عابرة في تاريخه ترينا أنه كان شديد التحرز في رواية مصادره الشفوية، شديد الاحتفال بإسناد الأقوال إلى قائلها، فإذا ارتاب في صحة رواية بدأها بالتشكيك فيها والتهوين من شأنها.

ولقد كانت معلوماته الجغرافية سببا في سخط كثير من النقاد عليه. والحق أن معلوماته في هذه الناحية ناقصة معيبة، ولكنها على أية حال تمثل ما كان سائدا في عصره من آراء، فليس فيمن سبقه من الكتاب من كان أكثر منه علما بالجغرافيا.

فقد كان هيرودوت يعتقد مثلا أن الأرض مسطحة. وكان هذا رأى هيكتايوس أيضا، ولكن هيكتايوس اعتقد أن الأرض دائرة مسطحة يحيط بها الأوقيانوس. أما هيرودوت فضرب بذلك الرأى عرض الأفق زاعما أنه وهم في خيال الشعراء (٢٣). هذا مع أن نظرية كروية الأرض كان ينادى

بها الفيثاغوريون قبل نهاية القرن السادس قبل الميلاد، ولكنها لم تقبل في مختلف الدوائر إلا بعد زمن هيرودوت بقرن من الزمان عندما كتب أرسطو حججه فيها.

وكان تصويره الجغرافي كذلك قاصرا. فهو يروى كيف أن السفن المصرية أبحرت في عهد نيخوس (٦٠٩ ق.م - ٥٩٣ ق.م) من البحر الأحمر ووصلت ثانية بعد سنتين عن طريق أعمدة هرقل (جبل طارق) إلى المكان الذي أبحرت منه. ثم يشك فيما قرره البحارة من أنهم عندما التفتوا حول ليبيا (أفريقيا) كانت الشمس عن يمينهم. وهو أمر كان يجب أن يفتن إلى صحته لو تصور أنهم جاوزوا خط الاستواء.

وليس من شك في أن تاريخ هيرودوت يدعو أحيانا إلى النقد الشديد، فأكثر ما اعتمده كان ما سمعه من قوم ليس لهم علم راسخ بما يفتنون. ولكن لا جناح على المؤرخ في ذلك فقد لجأ إلى هؤلاء عندما أعوزته المصادر المكتوبة أو المنقوشة. ولكننا نعيب عليه بحق أنه لا يعبا أحيانا بتسجيل مرجعه حينما يكون اعتماده على مصدر مكتوب أو منقوش.

(ب) هيرودوت في مصر

قال هيرودوت في كتابه الثالث (١٣٥): «لقد دخل الكثيرون من اليونانيين مصر مع جيش قمبيز - لما غزا مصر سنة ٥٢٥ ق.م - جاء بعضهم بغية التجارة، وجاء البعض الآخر جنديا مرتزقا، وجاء آخرون لمشاهدة البلاد».

وأغلب الظن أن هيرودوت جاء مصر «المشاهدة البلاد». وكانت زيارته في عهد الملك ارتا كزرسيس الأول (٤٦٤ ق.م - ٤٢٤ ق.م).

وحيث أن هيرودوت كان في أثينا عام ٤٤٥ ق.م فإن رحلته إلى مصر كانت قبل ذلك التاريخ حتماً. وحيث أن هيرودوت يقرر في كتابه الثالث (١٢) أنه رأى هياكل القتلى من المصريين والفرس في بابريميس وهذه الموقعة لم تنتش إلا في عام ٤٤٩ ق.م. وحيث أن اليونانيين قد اشتركوا في الثورة المصرية تحت قيادة إناروس ضد الفرس، وليس من المعقول أن يجيء هيرودوت إلى مصر وقت اشتعال هذه الثورة، وحيث أن هذه الثورة لم تخمد إلا في عام ٤٤٨ ق.م. فقد جاء هيرودوت مصر فيما بين سنة ٤٤٨ سنة ٤٤٥ ق.م.

فماذا كان موقف المصريين من هؤلاء اليونانيين؟

كان موقفهم أول الأمر عدائياً يتجاهلونهم ويزدرونهم ولا يتصلون بهم. ثم جاءت الأسرة السادسة والعشرين فاضطرت إلى استخدام الجنود المرتزقة من اليونانيين. فكان موقف المصرى منهم موقف المضطر إلى العون الذى لا بد منه لمواجهة صعاب الحرب ومضانكها. فكان المصرى يخفى خجله من تفوق الجندى اليونانى عليه بالاستعلاء والعزوف، وباضطراره اليونانى إلى التسليم بفضل الحضارة المصرية وامتيازها، ثم تبدى الخطر الفارسى يهدد كلا الحضارتين المصرية واليونانية، ويكاد يودى بهما جميعاً. فجمع الخطر المشترك بين المصريين واليونانيين واضطرهم إلى التفاهم والتعاون.

وإذن فقد كان المصري على الرغم من كرهه لليوناني وعزوفه عنه واعتباره نجسا، يتلطف معه ويؤاخيه. وهكذا تأتي لهيرودوت أن يستمع لبعض الكهنة والتراجمة.

ومكث هيرودوت في مصر حوالي ثلاثة أشهر ونصف، كانت من أغسطس إلى نوفمبر على الأرجح، فقد كان في مصر في زمن الفيضان (٩٧). نزل بمصر في كوم سمعدى شمال شرق الإسكندرية وذهب منها إلى كوم جيف بالقرب من نقراش ومنها إلى ميت رهينة، ومن هنا قام برحلة قصيرة إلى المطرية، ثم ركب النيل إلى أسوان ونزل في الأشمونين والأقصر، وفي طريقه راجعا زار منخفض الفيوم وبحيرة قارون، ثم رجع إلى ميت رهينة وقام بجولة في وسط الدلتا وشرقها.

ولقد ذكر هيرودوت ثمانية عشر إقليما من أقاليم مصر أو مديرياتها، واحد منها فقط في الوجه القبلي، وذكر من المدن المصرية أربعاً وأربعين مدينة ثمان منها فحسب في الوجه القبلي. ولم يصف مقابر الملوك ولا تمثال ممنون، فأغلب الظن إذن أن رحلته إلى الوجه القبلي كانت عابرة خاطفة، أو لعل المؤرخ هيكاتيوس قد أفاض في وصف هذه الروائع المعمارية بما لم يدع لهيرودوت مجالا للحديث عنها. ولكن هذا لا يكفي لتعليل صمته.

الظاهر أن الرحالة القديم كان يخاف أن يرحل ومعه مال كثير. فكان اليوناني يضطر إلى الاختلاف إلى المراكز التجارية اليونانية التي يستطيع أن يكون له فيها حساب جار، يقترض منها ما يعيش عليه، ويسدد دينه

حينما يؤوب إلى مركز ترحاله. ومن المحقق أن هيرودوت لم يعرف اللغة المصرية، وفي هذا ما يفسر تفضيله الإقامة في الدلتا حيث يكثر اليونانيون. ولم يكن لهيرودوت أن يعتمد على الفرس في تسهيل أمر الرحلة ومقابلة من يريد من الحكام أو الكهنة، فقد كان الفرس ينظرون إلى اليونانيين يومئذ بعين الريبة والتوجس لأنهم عضدوا الثورة التي قام بها المصريون في وجه الفرس، بل إنه من الجلى أن هيرودوت كان يتجنب الأوساط الحكومية فهو لم يعلم أن اللغة فى الدواوين كانت حينذاك اللغة الأرامية. فإذا لم يكن هيرودوت عالما باللغة المصرية ولا حاول أن يتعلمها. فكيف استقى معلوماته من الكهنة؟.

كان المترجمون عونهم على ذلك لاشك، ولقد أعجب بحسن تعبيرهم باللغة اليونانية، مما حدا به إلى الإطناب فى الحديث عن نشأتهم (١٥٤). ولعل هؤلاء المترجمين كانوا مثل خلفائهم من التراجمة ولعين بالأغراب والمبالغة معتمدين على جهل الأجانب بلغة النقوش واستعدادهم للتصديق لفرط إعجابهم بالآثار. أم لعل ألقوم كانوا قليلي العلم، حسنى النية أدلوا بما وصل إليه عملهم. وإذن فهيرودوت قد حفظ لنا تاريخ مصر كما كان يتصوره أبناؤها فى القرن الخامس ق. م فأبان بذلك عن حالة البلاد الفكرية فى تلك الفترة.

ويقرر هيرودوت فى مواضع متعددة أن سنده فيما يروى من أخبار هو كهنة منف. وأغلب الظن أنه لم يتصل بكبار الأخبار وفقهائهم، بل كان اتصاله بالكتاب والمسجلين فى المعابد (٢٨). ولم يكن هؤلاء

على علم غزير، ولعلمهم كانوا قادرين على قراءة النقوش الهيروغليفية، ولكنهم لم يجسموا أنفسهم مشقة الجمع والترجمة. فأتحفوا المؤرخ بما فاضت به عقولهم من روايات وقصص مرتجلة لا تستند إلى أساس - من التاريخ - قويم.



وإن هذه القصص لتتنقسم إلى أقسام ثلاثة: قسم منشؤه الآثار نفسها وما عليها من رسوم يحاولون تحليلها دون الاعتماد على النقوش، ومثلنا في ذلك قصة الملك سيثوس (١٤١) وقصة نجاة سيسوستريس (١٠٧). وقسم منشؤه قصص أدبية عزيت حوادثها لملوك متقدمين، ومثلنا في ذلك قصة كنز رامبسينيتوس (١٢١) وغزوات سيسوستريس (١٠٢) وما بعدها). وقسم ثالث كان النقد فيما مضى يضربون به عرض الأفق، ويعتبرونه من سقط المتاع ولكن النقد الحديث يرى في هذه القصص غير هذا الرأي، ويعتبرها صدى دين قديم سابق لدين رع وأوزيريس.

كان الكاهن في هذا الدين ملكا يبسط سلطانه على الدولة بما أوتي من قوة السحر فهو الذى يحيى الأرض ويمدها بالماء، ويدفع غائلة الفيضان. فإذا قال هيرودوت (١١١) إن فيروس ألقى بسهمه فى صدر التيار الدافق فهو يحكى صدى محاولة الملك الكاهن فى صد الفيضان وكبح جماحه، وإذا تحدث بشكوى منقرع من القدر (١٣٣) فهى قصة الملك الكاهن الذى كان عليه أن يقضى على حياته فى عنفوانها ليضمن انتقال القوة والبأس إلى خلفه، وإذا اغتصب أحد الملك كان عليه أن

يقضى على الجالس على العرش حتى تنتقل إليه قوته السحرية، وهذا ما يرويه هيرودوت في حديثه عن سيسوتريس (١٠٧).

ولقد زل هيرودوت زلته الكبرى إذ اعتبر عصر بناء الأهرام تاليا لعصر الدولة الحديثة، فهو يتحدث عن خوفو وخفرع ومنقرع بعد حديثه عن (رمسيس). ولعل مصدر هذا الخلط هو تشابه آثار الأسرة السادسة والعشرين وآثار الأسرة الرابعة. فقد كان عصر الأسرة السادسة والعشرين عصر إحياء ونهضة.

ولنتقل الآن إلى الناحية الجغرافية من كتاب هيرودوت، وهي أضعف جانب فيه. كان هيرودوت يؤمن بأن الأرض تنقسم إلى قارات ثلاث، أوروبا وآسيا وليبيا (أفريقيا). ولكنه جعل وادي النيل جزءا من آسيا. وهو يصف امتداد مصر على ساحل البحر المتوسط فيقول (٦) إن طولها من خليج العرب إلى بحيرة بردويل حوالى ٦٦٧ كم، مع أن المسافة من طرف بحيرة مريوط الغربى - المقابل لخليج العرب - وبين رأس الكأس الذى يعتبره هيرودوت (١٥٨) حد مصر من الشرق هى ٤١٥ كم فحسب. ويتحدث هيرودوت عن البحر الأحمر فيسميه، أحيانا خليج العرب، وأحيانا البحر الأحمر، ويظهر أنه لم يعلم بوجود خليج العقبة، ولم يدر أن ما نسميه الآن بخليج السويس ليس إلا خليجا من البحر الأحمر. فهو لم يتصور أن البحر الأحمر قد يكون فى أى جزء من أجزائه أعرض من خليج السويس (١١) وليس عليه فى ذلك من عيب فقد كان الرحالة القدماء يسرون بمحاذاة الساحل الأفريقى دائما.

ويبالغ هيروودوت أحيانا فى تقدير المسافات فهو يقرر (٩) أن المسافة من المطرية إلى الأقصر بالنهر هى ٩٠٠ كم. وهى فى الحقيقة ٧٢٩ كم، وأن المسافة من الأقصر إلى الفنتين هى ٣٣٣ كم وهى فى الواقع ٢١٧ كم. وهو يقارب الحقيقة أحيانا. فهو يقرر (٧) أن المسافة من البحر إلى المطرية هى ٢٨٧ كم، وهى فى الحقيقة - على طول فرع رشيد - ٢٥٩ كم. ويجب أن نقرر أن كل الأبعاد التى يذكرها هيروودوت هى أبعاد تقديرية، ولذلك كانت كل أعدادة كاملة ليس فيها كسور.



شاء هيروودوت أن يكون كتابه الثانى نصفين، يقصر النصف الأول منه على مشاهداته الخاصة وآرائه الشخصية، ويفرد النصف الثانى لما يلقى إليه من أخبار، وشاء أن ينتهى النصف الأول عند آخر الفصل الثامن والتسعين. ولكنه لم يتقيد بذلك التقسيم كثيرا فى كتابه فقد اختلقت المشاهدة بالسمع، وجاء كتابه وحدة متماسكة منسجمة. وليس الكتاب الثانى مع كل ذلك وحدة قائمة برأسها، بل هو جزء من تاريخه الطويل ليس له مقدمة ولا هو ينتهى تماما عند نهاية الجزء الثانى، ففى الكتاب الثالث فصول كانت جديرة بأن تلحق بالكتاب الثانى.



وبعد، فلقد ظل هذا الكتاب الثانى العمدة الكبرى للمشتغلين بتاريخ مصر من القرن الخامس ق. م إلى أن وفق علماء الآثار إلى حل رموز اللغة المصرية، ونهض علم الآثار وعلم الحفريات ففندا الكثير مما ذهب إليه

هيروودوت ولكن الكتاب لا يزال محتفظا بقيمته التاريخية، فهو عمدة الأثرى فى دراسة تاريخ مصر من الأسرة السادسة والعشرين إلى القرن الخامس ق. م. فإن آثار هذا العهد لم تر النور بعد على يد علماء الآثار. وهو صورة لمصر صادقة فى منتصف القرن الخامس ق. م. وهو فوق كل ذلك أثر أدبى فنى يبقى على وجه الزمان.



الكتاب الثاني

يوتربي
ربة الشعر الغنائى

منهج الترجمة

للنص عندنا حرمة لم تبح لنا التصرف في ترجمته. ولذلك فقد جاءت الترجمة أقرب ما تكون إلى صورة النص الأصلية، تبرز خصائص اللغة اليونانية في التراكيب والتعبيرات، وتبين عن أسلوب هيروودوت في الحكاية والوصف، ولقد أبقينا على أسماء البلاد كما ذكرها، وأثبتنا في لحق خاص ما يقابلها في العصر الحديث، وكذلك الأمر في الموازين والمكايل والأطوال.

الكتاب الثاني

١ بعد موت قورش^(١) تولى الملك قمبيز، وهو ابن قورش وكاسندانى ابنة فارناسييس، وقد حزن عليها قورش نفسه لما ماتت قبله حزناً عظيماً، وأمر كل أتباعه أن يحدوا عليها كذلك. أما قمبيز وهو ابن هذه المرأة وقورش، فقد نظر إلى الأيونيين والأبوليين كأنهم رقيق موروث، ولما قام بحملته على مصر، أخذ معه - بالإضافة إلى آخرين من رعيته - اليونانيين الذين كانوا تحت سلطانه.

٢ ولقد كان المصريون قبل أن يتولى بسماتيك^(٢) الملك فيهم، يظنون أنفسهم أعرق الناس قدماً، ولكن لما تولى بسماتيك الملك أراد أن يعرف أى الشعوب أقدم. ومنذ ذلك الحين أخذ المصريون يعتقدون أن الفريجيين^(٣) خلقوا قبلهم وأنهم هم أنفسهم خلقوا قبل سائر الشعوب الأخرى، ولما لم يكن بسماتيك قادراً على الوقوف على طريقة ما لاستقصاء أى الشعوب أقدم، فقد اهتدى إلى التجربة الآتية: أعطى طفلين حديثي المولد من العامة إلى راع ليأخذهما ويربيهما بين ماشيته على النحو الآتى: أمر الراعى ألا يخرج أحداً أى صوت فى حضورهما، وأن يناما وحدهما فى غرفة منعزلة. وأن يسوق إليهما فى الأوقات المناسبة معزى، وبعد أن

-
- (١) هو منشئ الإمبراطورية الفارسية، توفى سنة ٥٢٩ ق.م وتولى الملك بعده ابنه قمبيز الذى غزا مصر سنة ٥٢٥ ق.م.
- (٢) هو مؤسس الأسرة السادسة والعشرين فى سايس بعد طرد الأحباش بمساعدة الجنود المرتزقة من الأيونيين والكاريين سنة ٤٦٦ ق.م تقريباً.
- (٣) سكان المنطقة الوسطى من آسيا الصغرى.

يرتويأ لبنا يقوم بسائر حاجاتهما. ولقد انتهج بسماتيك هذا النهج وأدلى بهذه الأوامر لأنه أراد أن يسمع أى الأصوات يخرجها الطفلان أولا بعد أن يقلعا عن ثغائهما الذى لا يبين، وهذا ما حدث فعلا. فبعد أن ظل الراعى على هذا النهج مدة عامين، حدث أنه عندما فتح الباب ودخل ارتمى الطفلان كلاهما على قدميه وصاحا «بُكْسُ»^(١) وقد مدّا أيديهما. لما سمع الراعى ذلك، لم يحرك ساكنا أول الأمر، ولكن عندما تكررت الكلمة كثيرا كلما زارهما أو عنى بهما. أخبر سيده بالأمر وجاء بالطفلين - بحسب أمره - إلى حضرته. وبعد أن سمعهما بسماتيك بنفسه بدأ يبحث أى شعب يسمى شيئا بلفظة «بكس». وبالبحث علم أن الفريجيين يطلقونها على الخبز. وهكذا اعترف المصريون - على هدى هذه التجربة - أن الفريجيين أقدم منهم. ولقد سمعت أن الأمر حدث كما ذكرت من كهنة هيفايستوس فى منف. ولكن اليونانيين يقولون قصصا مافونة أخرى كثيرة منها أن بسماتيك قطع السنة نساء وجعل الطفلين يربيان عند أولئك النسوة.

٣ هذا ما يقولونه بشأن تربية الطفلين. وقد سمعت قصصا أخرى فى منف عندما ذهب إلهها لمحادثة كهنة هيفايستوس. وعلاوة على ذلك فقد يمت شطر طيبة^(٢) وهليوبوليس لهذا الغرض نفسه، فقد أردت أن أستوثق عما إذا كانت روايات كهنتها تتفق مع روايات كهنة منف.

(١) الكلمة تعنى «الخبز».

(٢) هى مدينة الأقصر عاصمة مصر فى عهد الدولة الحديثة. ظن اليونانيون أن اسمها «طايت» يقابل اسم طيبة عاصمة بيوشيا عندهم. فأطلقوه عليها. وكان اسمها الأكثر شيوعا فى مصر هو «نو» أى المدينة. وقد ورد هذا فى العهد القديم إرميا ٤٦ : ٢٥.

ذلك أنه يقال إن كهنة هيلوبوليس أفقه المصريين في العلم. أما ما سمعت من قصص الآلهة فليست حريصا على أن أثبت منها إلا أسماء الآلهة فحسب، فإني أعتقد أن الناس أجمعين يعلمون عن الآلهة قدرا متساويا، أما ما عساي أن أذكره عنها فإني مضطر إلى ذكره بسياق التاريخ.

ك أما عن المسائل الإنسانية فالكهنة يتفوقون فيما بينهم في قولهم إن المصريين كانوا أول من عرف السنة الشمسية وأنهم جعلوها مؤلفة من اثني عشر قسما من الفصول، ويقولون إنهم اكتشفوا هذه الأشياء بملاحظة النجوم. وهم في تقويمهم هذا أدق من اليونانيين فيما أرى، إذ أن اليونانيين يضيفون إلى كل سنتين شهرا نسيئا حتى تستقيم الفصول. أما المصريون فيحسبون اثني عشر شهرا مؤلفا من ثلاثين يوما ويضيفون إلى هذا العدد خمسة أيام كل سنة، وهكذا تتم دورة الفصول عند نقطة ابتداء التقويم.

ويقول الكهنة أيضا إن المصريين كانوا أول من سَمَّى الآلهة الاثني عشر بألقابها، وأن اليونانيين أخذوا ذلك عنهم، وأن المصريين أول من وقف للآلهة الهياكل والتمائيل والمعابد، وأول من حفر صور الآلهة على الأحجار. وقد بينوا لي أن أكثر هذه الدعاوى كان في الواقع كما ذكروا. وقالوا كذلك إن مينا كان أول ملك لمصر من البشر، وإن مصر في عهده كانت كلها - فيما عدا مقاطعة طيبة - مستنقعا، في حين لم تكن واحدة من البقاع التي تقع الآن شمالي بحيرة مويريس^(١) (وهي من البحر على مسافة سبعة أيام تصعيديا في النهى بارزة فوق الماء.

(١) هي بحيرة قارون الآن.

٥) ويبدو لي أنهم مصيبيون فيما يقررون من طبيعة البلاد، لأنه من الواضح لمن لم يستمع إلى أقوالهم بل رأى البلاد رأى العين فحسب، وكان ذا فطنة، أن مصر التي يبحر إليها اليونانيون بسفنهم، أرض اكتسبها المصريون وأنها هدية من النهر^(١). هذا إلى أن الإقليم الواقع على مسافة رحلة ثلاثة أيام مما يلي البحيرة ينطبق عليه أيضا هذا الوصف، ولو أن هؤلاء الكهنة لم يقولوا عنه شيئا كهذا. وذلك أن طبيعة أرض مصر كما يأتي: إذا كنت مبحرا إليها أول مرة ولازلت على بُعد رحلة يوم من اليابسة، وأدليت المسبار فستخرج طميا وستكون على بُعد أحد عشر باعا، وهذا يوضح أن الطبقة الطميية تمتد إلى هذا الحد.

٦) وامتداد مصر على ساحل البحر ستون سخينوسا بحسب تحديدنا لمصر من خليج بليثثوس إلى بحيرة سربونيس^(٢) التي يمتد تل كاسيوس^(٣) بجانبها، والستون سخينوسا تبدأ من هذه البحيرة. والذين يملكون أراضي صغيرة يمسحونها بالباع، وأصحاب الأراضي الأكبر منها يمسحونها بالستاد، وأصحاب الأراضي الواسعة يمسحونها بالفرسخ، وأصحاب الأراضي الواسعة جدا يمسحونها بالسخينوس، والفرسخ يعادل ثلاثين ستادا، والسخينوس - وهو مقياس مصرى - يعادل ستين ستادا، وإذن يكون امتداد مصر على ساحل البحر ٣٦٠٠ ستاد.

(١) هذا التعبير اقتبسه هيرودوت من هيكتايوس.

(٢) هي بحيرة برديول الآن. سميت كذلك باسم بلدوين ملك أورشليم المتوفى سنة ١١١٨م.

(٣) يبعد أربعين ميلا عن مدينة بيلوزيوم وهو الآن رأس الكأس أو القسروم.

٧ ومصر فى الداخل من الشاطئى إلى مدينة هليوبوليس واسعة، وكلها منبسطة وغاصة بالماء وموحلة. والمسافة من البحر إلى مدينة هليوبوليس تكاد تساوى فى الطول الطريق المؤدية من هيكل الآلهة الاثنى عشر فى أثينا إلى معبد زيوس الأوليمبى فى بيزا. فإذا حسب المرء المسافة لوجد الفرق بين هذين الطريقين ضئيلا جدا، حتى إنهما ليكادان يتساويان، إذ الفرق لا يزيد على خمسة عشر ستادا، فالمسافة من أثينا إلى بيزا تقل بمقدار خمسة عشر ستادا عن ١٥٠٠ ستاد فى حين أن المسافة من البحر إلى مدينة هليوبوليس تبلغ ذلك الرقم.

٨ ومصر ضيقة ابتداء من مدينة هليوبوليس حتى الجنوب، وفى ناحية بلاد العرب تقوم سلسلة جبال من الشمال إلى الجنوب والجنوب الغربى وتمتد مرتفعة فى اطراد إلى البحر المسمى بالبحر الأحمر. وفى هذه السلسلة توجد مقالع الأحجار التى هيئت من أجل الأهرام التى توجد بالقرب من منف، وهنا تبلغ الجبال نهاية امتدادها وتنحنى صوب الجهات التى ذكرتها. والمسافة من الشرق إلى الغرب عبر هذه الجبال حينما تبلغ أقصى اتساعها مسيرة شهرين كما علمت، وحدودها الشرقية مصدر للبخور. هذه إذن طبيعة هذه الجبال. هذا وتوجد سلسلة أخرى من الجبال الصخرية على الجانب الليبى من مصر، وتقع فيها الأهرام. وهذه السلسلة مغطاة بالرمال، وهى تمتد فى نفس اتجاه ذلك الجزء من سلسلة الجبال العربية الذى يمتد إلى الجنوب.

وإذن فالبلاد بعد هليوبوليس لم تعد شديدة الاتساع بالنسبة إلى أنها جزء من مصر. بل إن الأراضي المصرية البحتة تكون إلى مرحلة أربعة

عشر يوما في الداخل ضيقة، والأرض الواقعة بين سلسلتى الجبال التي ذكرتها سهل، لا يزيد اتساعه بحال في أضيق جزء منه فيما يبدو لي، على مائتى ستاد، فيما بين سلسلة الجبال العربية وسلسلة الجبال الليبية كما يسمونها، وبعد ذلك تكون مصر متسعة من جديد.

٩ هذه إذن هي طبيعة البلاد. ومن هليوبوليس إلى طيبة إبحار تسعة أيام تصعيذا في النهر، وهي مسافة ٤٨٦٠ ستادا، لأنها مسافة ٨٠ سخينوسا، هذه إذن أبعاد مصر موضوعة بعضها بجانب بعض.

ولقد أوضحت فيما سلف أن طول ساحل البحر ٣٦٠٠ ستاد، وسأبين الآن البعد من البحر إلى مدينة طيبة في الداخل، فهو مقدار ٦١٢٠ ستادا أما المسافة من طيبة إلى المدينة المسماة مدينة الغيل فهي ١٨٠٠ ستاد.

١٥ والجزء الأكبر من هذه البلاد التي تحدثت عنها هو - كما قال الكهنة، وكما أعتقد شخصا - كسب للمصريين، فقد بدا لي أنه من الجلي أن السهل الواقع بين سلاسل الجبال التي تحدثت عنها مما يلي مدينة منف كان فيما مضى خليجا في البحر، شأنه في ذلك شأن البقاع الواقعة حول طروادة وتيوثرانيا وإفسوس وسهل مياندروس. هذا إذا جاز أن نقارن صغير الأمور بكبيرها، إذ لا يمكن أن يقارن واحد من هذه الأنهار التي كونت هذه البلاد بطبيعتها بفرع واحد من فروع النيل من حيث الجزم، وفروع النيل خمسة. وهناك أنهار أخرى أيضا لا تقارن بالنيل في الحجم وقد كان لها تأثير عظيم، ويمكنني أن أسمى منها أنهارا كثيرة ولكن أهمها هو نهر أخيلوؤس^(١) الذي يجرى في أكارنانيا ويصب في البحر، وقد أحال نصف جزائر أخيناديس فعلا برا.

(١) أكبر أنهار بلاد اليونان. ويفصل كارنانيا عن أبطوليا.

٥٥ وفى بلاد العرب، غير بعيد من مصر، يوجد خليج يتوغل فى الداخل من البحر الذى يسمى بالبحر الأحمر^(١) وهو طويل وضيق جدا كما سأبين بالوصف. فمن يبدأ برأس الخليج ويمضى قدما فى عرض البحر يستغرق أربعين يوما فى عبوره طولا مستخدما المجاذيف، فى حين أن اجتيازه عرضا يستغرق إبحار نصف يوم فى أوسع جزء من الخليج. ويحدث فيه مدّ وجزر كل يوم، ويخيّل إلى أن مصر نفسها كانت فيما مضى خليجا آخر مثل هذا، وأن أحدهما كان يمتد من البحر الشمالى صوب الحبشة^(٢)، فى حين أن الآخر يمتد من البحر الجنوبى صوب سورية. وإن رأسيهما ليكادان يتقابلان الواحد بالآخر، لا يفصلهما إلا رقعة ضيقة من الأرض. فإذا عنّ للنهر أن يوجه مجراه نحو الخليج العربى فماذا يمنع هذا من أن يببس بتأثير النهر فى عشرين ألف عام؟ إنى شخصيا أعتقد أنه لو حدث ذلك ليبس الخليج فى عشرة آلاف عام. فكيف إذن لا يببس خليج أكبر من هذا بكثير بتأثير نهر على هذه الضخامة وعلى هذا الدأب فى كل الزمان الذى انقضى قبل أن أولد؟

٥٦ وإنى لا أصدق ما قيل عن مصر فحسب، بل إنى شخصيا شديد الاعتقاد بأن ذلك ما حدث فعلا. فقد لاحظت أن مصر تمتد داخل البحر أكثر من الأراضي المتاخمة لها. وأن أصداف البحر توجد على الجبال، وأن طبقة ملحية تتكون على سطح الأرض حتى أن الأهرام نفسها تتآكل

(١) البحر الأحمر عند اليونانيين الأقدمين يعنى البحر الأحمر الحالى والمحيط الهندى والخليج الفارسى، والتسمية فى الأصل مصرية، نسبة إلى لون الرمال فى الغالب.

(٢) الحبشة عند اليونانيين الأقدمين تعنى كل ما يلى مصر جنوبا ابتداء من الشلالات. وتشمل الصومال وأريتريا.

بفعلها. وأن سلسلة الجبال الوحيدة في مصر التي تغطيها الرمال هي تلك التي تقع فوق منف. ولاحظت علاوة على ذلك أن مصر لا تشبه بلاد العرب التي تتصل بها، ولا ليبيا ولا سورية أيضا، (السوريون يسكنون الجزء الذي يلي البحر من بلاد العرب) بل إن تربتها سوداء مشققة؛ لأنها في الحقيقة طمي متراكم، محمول من بلاد الحبشة بوساطة النهر، ونحن نعلم أن تربة ليبيا ضاربة إلى الحمرة ورملية بعض الشيء فيما يلي السطح، في حين أن أرض بلاد العرب وسورية صلبة بعض الشيء وصخرية.

٧٣ ولقد حدثني الكهنة بالبرهان القوي التالي على أن ذلك هو تكوين تلك البلاد، قائلين إن النهر في عصر الملك مويريس كان يروى من مصر الجزء الذي يلي منف كلما بلغ ارتفاعه ثمانية أذرع فحسب، ولم يكن قد مضى على موت مويريس هذا تسعمائة عام عندما سمعت أنا هذه المعلومات من الكهنة. أما في الوقت الحاضر فإذا لم يرتفع النهر أربعة عشر أو خمسة عشر ذراعا على الأقل لا يغمر البلاد. ويخيل إلى أنه إذا استمرت الأرض في الزيادة في الارتفاع بهذه النسبة واستمرت كذلك في الزيادة في الاتساع، فسوف يعاني المصريون الذين يعيشون فيما يلي بحيرة مويريس وخصوصا في المنطقة التي تسمى بالدلتا، إلى آخر الزمان نفس المصير الذي كانوا هم أنفسهم يقولون إن اليونانيين سيلاقونه يوما من الأيام. ذلك أنهم عندما علموا أن كل بلاد اليونان ترويتها الأمطار فحسب، ولا ترويتها الأنهار كما هو الحال عندهم، قالوا إنه سوف يخيب أمل اليونانيين العظيم يوما ما ويجوعون جوعا شديدا. وهذا يعنى أنه إذا لم يشأ الإله أن ينزل عليهم الغيث، بل شاء أن

يهرأهم بالجفاف المتصل، فسوف يهلكون جوعاً، فليس لهم من مصدر واحد آخر للماء إلا زيوس فحسب.

٧٤ إن ما يقوله المصريون بشأن اليونانيين صحيح، ولكن دعنى أتحدث عن موقف المصريين أنفسهم إذا حدث، كما قلت آنفاً، أن الأرض فيما يلي منف (وهى الأرض التى تزيد فى الارتفاع) زادت فى الارتفاع بنفس النسبة التى درجت عليها فى الماضى. فماذا عساه يحدث للمصريين الذين يسكنون هذه البقاع - إذ الأرض لا ترويهما الأمطار، والنهر غير قادر على أن يفيض على الحقول - إلا أن يموتوا جوعاً؟ هذا مع أنهم الآن يجنون محصولهم من الأرض بغاية اليسر بمجهود أقل مما تبذله الشعوب الأخرى بما فيهم سائر المصريين. فهم لا يجهدون فى شق الخطوط بالمحراث ولا فى تفتيت التربة ولا يقومون بأى عمل من الأعمال التى يشقى بها سائر الناس من أجل الغلة. بل إن النهر يفيض عندهم من تلقاء نفسه، ويروى الحقول ثم ينحسر ثانية بعد ريهها، وعندئذ يبذر كل فرد حقله، ويطلق فيه الخنازير، لتدوس البذور فتغرسها ثم ينتظر الغلة ويخزنها بعد أن تدرس الحبوب بواسطة الخنازير.

٧٥ والآن، فإذا أخذنا بآراء الأيونيين فيما يتعلق بمصر، وهم يذهبون إلى أن مصر هى الدلتا فحسب، وأن شاطئها يمتد من المرقب الذى يسمى باسم برسسيوس إلى ملاحات الأسماك على الفرع البيلوزى وهى مسافة أربعين سخينوسا، وأنها تمتد من البحر فى الداخل حتى مدينة كركاسوروس^(١) التى يتفرع النيل عندها إلى الفرعين البيلوزى (١) تسمى الآن صيدية، ورأس الدلتا يقع الآن إلى الجنوب من هذا الموضع بمقدار ستة أميال. والكلمة مصرية تعنى «تمريق أوزيريس».

والكانوبى وأن بقية مصر بعضها ليبيا والبعض الآخر بلاد العرب. إذا أخذنا بهذا القول كان معناه أنه لم يكن للمصريين وطن من قبل. ذلك أن الدلتا كما سبق القول، طمبية وحديثة التكوين فعلا فيما يقول المصريون أنفسهم وفيما أعتقد شخصيا. فإذا لم يكن لهم وطن من قبل على الإطلاق، فلماذا يجتهدون في تبيان أنهم أقدم الشعوب؟ ولم تكن بهم حاجة إلى إجراء تجربة الطفلين لمعرفة أى اللغات يتكلمان أولا. ومهما يكن من شىء فإنى لا أعتقد أن المصريين نشأوا فى نفس الوقت الذى تكونت فيه الدلتا التى يسميها الأيونيون مصر، بل إنهم كانوا موجودين دائما منذ الوقت الذى وجد فيه الجنس الإنسانى، وأنه لما امتدت بلادهم تخلف الكثيرون منهم وانحدر الكثيرون تدريجيا إلى الأراضى الجديدة. وعلى كل حال فى العصر القديم كانت طيبة تسمى مصر، ومحيط طيبة ٦١٢٠ ستادا.

١٦ فإذا كانت آراؤنا فيما يتعلق بهذه المسائل صحيحة فالأيونيون غير مصيبين فيما يذهبون إليه بشأن مصر، أما إذا كان رأى الأيونيين هو الصحيح فإنى مبين أن اليونانيين والأيونيين أنفسهم لا يعرفون كيف يحسبون إذ يقولون إن الأرض كلها مقسمة إلى أقسام ثلاثة أوروبا وآسيا وليبيا، فعليهم حقا أن يضيفوا إلى حسابهم دلتا مصر كقسم رابع إذا لم تكن جزءا من آسيا ولا جزءا من ليبيا. والنيل، بحسب قولهم هذا، ليس هو الذى يفصل آسيا عن ليبيا، والنيل يتفرع عند رأس هذه الدلتا، فتكون إذن فى وسطه مشاعا بين آسيا وليبيا.

والآن وقد طرحنا رأى الأيونيين جانبا فلندلى نحن بما نرى من أن مصر هي كل البلاد التي يسكنها المصريون، كما أن كيليكية^(١) هي البلاد التي يسكنها الكيليكيون، وآشور هي البلاد التي يسكنها الآشوريون أما عن الحد الفاصل بين آسيا وليبيا فلا نعرف حدا بالمعنى الحرفى إلا مصر. فإذا أخذنا بالرأى السائد عند اليونانيين فسوف نذهب إلى أن مصر كلها مبتدئة من الشلال ومدينة الفنتين مقسمة إلى قسمين، ولها الحق فى الأسمين كليهما. فجانب منها جزء من ليبيا والجانب الآخر جزء من آسيا. لأنه من الواضح أن النيل مبتدئا من الشلال يشطر مصر فى مجراه إلى البحر. والنيل ينساب فى مجرى واحد حتى مدينة كركاسوروس ومن هذه المدينة يتفرع إلى مجار ثلاثة. أحدها ويسمى الفرع البيلوزى ينحرف صوب الشرق، وأحد هذه المجارى ينحرف صوب الغرب ويسمى هذا الفرع الكانوبى، أما الفرع المستقيم من مجارى النيل فينساب على النحو الآتى: عندما يصل النهر فى جريانه، قدما إلى رأس الدلتا يشطرها فى الوسط ويصب فى البحر. وكمية الماء الذى يأتى به هذا الفرع أكبرها قدرا وأبعدها شهرة. ويسمى هذا الفرع بالفرع السبنيثى وهناك فرعان آخران ينشقان على الفرع السبنيثى ويجريان إلى البحر واسم أحدهما الفرع السايسى والآخر الفرع المنديسى، أما الفرع البولبيثى والفرع البوكولى فليسا طبيعيين بل صناعيين.

وتشهد لى بصحة الرأى فيما ذهبت إليه فى كلامى من أن مصر على هذا الامتداد، إجابة وحى آمون التى لم أعلم أنها بها

(١) فى الجنوب الشرقى من آسيا الصغرى.

إلا بعد أن كنت قد كوَّنت رأى عن مصر: كان أهل مدينتى ماريا وآبيس الذين يسكنون الأجزاء المتاخمة لليبيا من مصر يرون أنهم ليبيون وليسوا مصريين، وأحنقتهم الطقوس الدينية التى تحرّم عليهم أكل لحوم الأبقار، فأرسلوا إلى آمون زاعمين أن ليس هناك شىء يجمع بينهم وبين المصريين حيث إنهم يسكنون خارج الدلتا ولا يتفقون معهم فى شىء وأرادوا أن يحلل لهم أكل كل طعام، ولكن الإله منعهم من ذلك قائلا «إن مصر هى الأرض التى يجرى فيها النيل وبيرويهما، وإن المصريين هم الذين يسكنون البلاد مما يلي مدينة الفنتين، ويشربون من ماء النيل». هكذا أجابهم الوحي.

١٧٩ وعندما يفيض النيل لا يغمر الدلتا وحدها، بل يغمر كذلك ما يسمى بالبلاد الليبية وبلاد العرب إلى مدى مسيرة يومين من كلا الجانبين ويزيد أحيانا عن ذلك، وأحيانا يقل. ولم أستطع أن أستقى معلومات عن طبيعة النهر من الكهنة ولا من أحد غيرهم، ولقد كنت شديد الحرص على أن أعرف منهم لماذا يأتى النهر فى فيضان مدة مائة يوم مبتدئا من الانقلاب الصيفى حتى إذا بلغ هذا القدر من الأيام يفيض ماؤه، وينحسر ثانية، ويظل غائضا طوال الشتاء إلى أن يحين الانقلاب الصيفى ثانية. لم أستطع أن أستقى من المصريين معلومات بشأن مسألة واحدة من هذه المسائل حينما سألتهم عن خاصية النيل التى خالفت بها طبيعته سائر الأنهار. لقد أردت أن أعرف ما يقولون بشأن هذه المسائل، ولماذا كان النيل النهر الوحيد دون سائر الأنهار الذى لا يثير رياحا على سطحه.

٢٥ ولكن بعض اليونانيين وقد أرادوا أن يشتهروا بالحكمة. ذهبوا في تفسير ظاهرة مائة، ثلاثة مذاهب مختلفة. اثنان منها ليسا جديرين بأن أسجلهما لو لم أكن حريصا على أن أبين ماهيتهما فحسب. فأحدهما يقول إن الرياح الموسمية هي سبب فيضان النيل، لأنها تمنع النهر من أن يصب في البحر. ولكن كثيرا ما تكون الرياح الموسمية ساكنة ويظل النيل يعمل عمله، هذا إلى أنه إذا كانت الرياح الموسمية هي السبب لوجب أن تتعرض سائر الأنهار التي تجري في اتجاه مضاد للرياح الموسمية لنفس الظاهرة التي يتعرض لها النيل، بل تكون أكثر منه تأثرا بها بالنسبة إلى أنها أصغر منه فتيارها أضعف. ولكن هناك أنهار كثيرة في سورية وأنهار كثيرة في ليبيا لا تتعرض لمثل تلك الظاهرة التي يتعرض لها النيل.

٢٦ والمذهب الثاني أشد من الذي ذكرناه إغراقا في الجهل ولكنه أشد منه إثارة للعجب. فهو يقول إن النهر يفيض من المحيط ويأتي بتلك الظواهر، أما المحيط فيفيض حول الأرض كلها.

٢٧ أما المذهب الثالث فأقر بها جميعا بكثير إلى التصديق ومع ذلك فهو على التحقيق أكذبها إذ لا طائل البتة تحت ما يذهب إليه من أن النيل يفيض من الثلوج الذائبة في حين أنه ينساب من ليبيا مخترقا وسط الحبشة ويفيض في مصر. فكيف يفيض من الثلوج إذا كان يجري من بلاد شديدة الحرارة إلى بلاد أبرد منها نوعا بوجه عام؟ وأول دليل وأقواه - لمن يستطيع أن يعمل الفكر في هذه المسائل - على أنه من

غير المعقول أن يفيض النهر من الثلوج، أن الرياح التي تهب من هذه البلاد تأتي حارة، والدليل الثاني أن البلاد غير ممطرة ولا برد فيها طول العام، مع أنه بعد سقوط الثلج تهطل الأمطار بالضرورة في ظرف خمسة أيام. وعلى ذلك فإذا كانت هناك ثلوج كانت هناك أمطار في تلك الأصقاع. أما الدليل الثالث فهو سكان البلاد إذ أنهم سود بتأثير حرارة الشمس المحرقة. هذا إلى جانب أن الحدايات والسنونة لا تختفي منها طوال السنة في حين أن الكراكي تهرب من الجو البارد الذي تتعرض له في إقليم سكيثيه وترحل دائما إلى هذه الجهات لتمضية الشتاء.

وإذن فإذا كانت الثلوج تسقط ولو بقدر ضئيل جدا في تلك البلاد التي ينساب منها النيل ويبدأ منها في فيضانه، ما حدث شيء من هذا كما تقضى الضرورة المنطقية.

٣٣ أما من يعلل الفيضان بنظرية المحيط فيأتي بأساطير مبهمة لا تنطوى على برهان. وأنا شخصا لست متيقنا أن نهر الأوقيانوس موجود فعلا. ويخيل إلى أن هومروس أو أحد الشعراء الذين سبقوه اخترع هذا الاسم وأدخله في الشعر.

٣٤ والآن فإذا كان من الواجب على بعد أن دحضت الآراء التي قدمتها أن أبين رأيي في هذه الأمور المبهمة فإنني سأبين لماذا يفيض النيل في الصيف في رأيي ففي فصل الشتاء تندفع الشمس بفعل الأعاصير من مدارها المعتاد وتذهب إلى أجواز ليبيا العليا. وهذا هو تعليلي بأكمله مبينا في اختصار شديد. إذ من الطبيعي أن تكون البلاد التي يكون هذا

الإله قريبا جدا إليها ومحلقا فوقها ناضبة الماء، وأن تكون جداول أرضها على الأخص غائضة دون سائر الأنهار.

٢٥ أما تعليلي مبينا بالتفصيل فهكذا: إن الشمس في مسيرها فوق الجهات العليا من ليبيا يكون تأثيرها على النحو الآتي: حيث أن الهواء يكون طوال السنة في تلك المناطق صافيا، والأرض ساخنة، وليس هناك من رياح باردة، فالشمس تؤثر كما اعتادت أن تؤثر وقت الصيف حينما تسير في وسط السماء، أي أنها تجذب المياه إليها وتدفع بها، بعد أن تجذبها، إلى المناطق العليا من البلاد، وهناك تستحوذ عليها الرياح وتفرقها وتبدها، ولذلك فالرياح التي تهب من هذه البلاد أي الجنوبية والجنوبية الغربية هي أغزر الرياح أمطارا بكثير. ولكن يبدو لي أن الشمس لا تتخلص من كل ماء النيل الذي تجذبه كل سنة بل تبقى بعضه بجوارها. وحينما يعتدل الشتاء، ترجع الشمس إلى وسط السماء ثانية، ومنذ ذلك الوقت تجتذب المياه من كل الأنهار على السواء، وفي هذه الأثناء تفيض هذه الأنهار بمياه غزيرة لكثرة مقادير الأمطار التي تختلط بها وذلك لهطول الأمطار في البلاد وامتلائها بالأخوار، أما في الصيف فتقل مياهها لأنها تفقد مورد الأمطار ولأن الشمس تمتص مياهها. وحيث أن النيل لا تغذيه الأمطار، والشمس في نفس الوقت تمتص مياهه، فقد ترتب على ذلك أن كان النيل النهر الوحيد الذي ينساب في هذا الفصل وقد قل ماؤه كثيرا عن مقداره الطبيعي أي أقل من مقداره في الصيف، ففي الصيف تجذب الشمس ماءه بالنسبة التي

تجذب بها مياه سائر الأنهار. فى حين أنه يتعرض لها وحده فى الشتاء، ولذلك فإنى أعتقد أن الشمس هى سبب هذه الظواهر.

٢٦ والشمس، وهى تلفح الهواء فى خط سيرها، هى أيضا - فى رأىى - السبب فى أن الجو فى هذه المناطق عديم الرطوبة حتى أن الصيف حال باستمرار فى المناطق العليا من ليبيا. ولكن إذا تغيرت مواقع الشمس فى الفصول وإذا أصبح جوز السماء - الذى تقع فيه الآن الرياح الشمالية والشتاء - موقع الرياح الجنوبية والصيف فى حين تصبح الرياح الشمالية واقعة حيث تقع الآن الرياح الجنوبية، فى هذه الحالة، كانت الشمس - وقد أزاحها الشتاء والرياح الشمالية عن وسط السماء - تزور المناطق العليا من أوروبا كما تزور الآن المناطق العليا من ليبيا، وأعتقد أنها فى مسيرها عبر أوروبا كلها كانت تؤثر فى نهر الطونة نفس التأثير الذى تحدثه فى نهر النيل.

٢٧ أما عن مسألة الرياح التى لا تهب على سطح النهر فرأىى أنه من غير الطبيعى أن يهب ربح ما من جهات شديدة الحرارة. فالرياح عادة تهب من جهة باردة.

٢٨ والآن فلتببق هذه المسائل إذن كما هى وكما كانت منذ البدء. ولم يدع أحد من المصريين أو الليبيين أو اليونانيين الذين تحدثوا معى، أنه يعرف شيئا عن منابع النيل إلا مسجل الخزائن المقدسة لآثينة فى مدينة سايس^(١) فى مصر. وقد بدا لى أن الرجل يهزل حينما قال إنه يعرف الحقيقة على وجه الدقة. وقد تحدث بما يلى: فى الوسط بين مدينتى

(١) كانت سايس عاصمة الأسرة السادسة والعشرين، ومركز عبادة الإلهة نيت.

سيين (أسوان) في مقاطعة طيبة والفنتين يوجد تالان يرتفع رأسهما في قلتين مدببتين واسم أحد هذين التلين «كروفي» والآخر «موفى»^(١). ومن بين هذين التلين تتفجر منابع النيل وهي ليست بذات قرار. وينحدر نصف الماء نحو مصر شمالا، والنصف الآخر نحو الحبشة جنوبا. وقال إن بسماتيك ملك مصر أثبت بالتجربة أن المنابع لا يسير لها غور، فقد جاء بحبل مجدول طوله ألف باع وأدلى به في هذا المكان فلم يبلغ القاع. وهكذا بين هذا المسجل، فيما أظن، إذا كان ما قرره قد حدث فعلا، أنه توجد هناك دوامات قوية وتيارات مضادة بدرجة أن المسبار، وقد كانت المياه تدفعه إلى جوانب الجبل، لم يستطع حينما أدلى أن يبلغ القاع.

٢٩ ولم أستطع أن أقف على شيء من أحد غيره. ولكني اكتسبت المعلومات الآتية بعد أن وصلت بأبحاثي إلى أبعد مدى، فزرت البلاد حتى مدينة الفنتين مشاهدا، واكتسبت معلوماتي عما وراء هذه المدينة بالسمع. فمن الفنتين تكون البلاد مرتفعة للواغل فيها صُعدا حتى إنه ليتحتم ربط القارب من طرفيها كالثور قبل التقدم بها؛ فإذا انقطع الحبل ذهبت القارب محمولة بقوة التيار. وفي هذه المنطقة، وهي مرحلة أربعة أيام في القارب، يكون النيل متعرجا مثل نهر النيانديروس. والمساحة التي عليك أن تقطعها على هذا النحو هي اثنا عشر سخينوس. وبعدئذ تصل إلى سهل منبسط يدور النيل فيه حول جزيرة، واسم هذه الجزيرة تاخومبسو.^(٢) ويقطن الأحباش المنطقة التي تلي مدينة الفنتين مباشرة،

(١) الكلمتان مصريتان «كروفي» قد يكون معناها كهف النيل «وموفى» ماء النيل. والرأي الذي أدلى به المسجل قديم وقد ظل سائدا إلى أواخر العصر الروماني.

(٢) لعلها جزيرة زرار جنوبي أسوان وتسمى في اللغة المصرية «خمسة».

وءم يسكنون نصف الءزيرة ويسكن المصريون نصفها الثاني . وءءاخم هذه الءزيرة بءيرة عظيمة يعيش حولها أءباش رءل ، فإذا ءزءها وصلت إلى مءرى النيل الذى يصب فى هذه البءيرة . وبعء ذلك ءهبء البر وءقء مءرءة أربعين يوما بءءاء النهر . ذلك أنه ءوءء فى النيل صءور ءاءة وءناءل كءيرة لا ءءيسر بسببها الملاءة فى النهر . فإذا اءءزء هذه المنءة فى هذه الأيام الأربعين ، ءركب سفينة أخرى من ءءيد ، وءبءر اءنى عشر يوما ءصل بعءها إلى مءينة عظيمة اسمها مروى ، ويقال إن هذه المءينة هى عاصمة ساءر الأءباش وسكان هذه المءينة يعبءون زيوس وءيونيسوس فقط ، وهم يعظمونهما ءعظيما شءيدا ، ويوءء عنءهم وءى لزيوس . وهم يسيرون للءرب كلما أمرهم هذا الإله بوساطة الوءى وإلى ءيء يأمرهم يتوءهون .

٣٥ فإذا أبءرء من هذه المءينة مءة أخرى مساوية للمءة ءى ءصيتها فى مءيئك من الفءئين إلى عاصمة الأءباش ، فسءصل إلى الفارين ، واسم هؤلاء الفارين «أسماء» وهذه الكلمة ءعنى فى اللغة اليونانية «الذين يقفون ناءية يد الملك اليسرى» . وبيلىع هؤلاء مائءى وأربعين ألف مصرى من طبقة الءنء وءء فروا إلى الأءباش للسبب الآءى : فى عهد الملك بسماءيك وضءءء ءاميات واءءة فى مءينة الفءئين ءءاه الأءباش ، وأخرى فى ءافناى^(١) بالقرب من بيلوزيوم - ءءاه العرب والسوريين ،

(١) أءءء الصمون المصرية فى وءه الفرس . وءء كءفء على بءء عشرة أميال غرب القنءرة . وظهر أن طول المعسكر فيها كان ٦٣٥ يارءة وعرضه ٤٠٠ يارءة . وهى ءسمى فى العهد القءيم ءءفءءيس .

وأخرى في ماريا تجاه ليبيا. والحاميات الفارسية موجودة إلى أيامنا هذه في هذه الأماكن كما كانت في عهد بسماطيك، فالفرس يقومون بالحراسة في الفنتين وفي دافناى. ظل هؤلاء المصريون إذن يقومون بالحراسة ثلاثة سنوات في الفنتين ولم يأت أحد ليعفيهم من هذه الحراسة، وبعد أن تشاور هؤلاء واستقروا على رأى واحد، ثاروا على بسماطيك وذهبوا إلى الحبشة. ولما علم بسماطيك بالأمر اقتفى أثرهم، ولما لحق بهم حاول طويلا أن يقنعهم بالأى يهجروا آلهة آبائهم، وأولادهم ونساءهم. ويقال إن أحدهم أشار إلى عورته وقال ما دامت هذه موجودة فسيكون لهم هناك أولاد ونساء. ولما وصلوا إلى الحبشة وضعوا أنفسهم رهن مشيئة ملك الأحباش وهذا كافأهم على النحو الآتى: كان بعض الأحباش مختلفين معه، فأمر المصريين أن يطردوهم ويسكنوا أرضهم. ولما نزل هؤلاء بين الأحباش صار الأحباش أكثر تمدينا بعد أن أخذوا العادات المصرية.

❸ فالنيل إذن معروف إلى مدى مرحلة أربعة أشهر فى البر والبحر فضلا عن مجراه فى مصر. ذلك إنك إذا حسبت وجدت أن هذه هى الأشهر التى تقضيها فى رحلتك من الفنتين إلى هؤلاء القارين. ويجرى النيل من الغرب والشمس الغاربة. ولا يستطيع أحد أن يخبر عن يقين عما وراء هذه المنطقة لأن هذه البلاد مقفرة لشدة حرارتها.

❹ ولكنى سمعت الرواية التالية من بعض القورينائيين. فقد قالوا لى إنهم زاروا مهبط وحى آمون ودخلوا فى حديث مع ايتيارخوس^(١) ملك الآمونيين. وفى أثناء الكلام فى مسائل مختلفة انساق الحديث

(١) قد يكون الاسم تحريفا للاسم النبوى تهراقا.

إلى النيل وكيف أن أحدا لا يعرف منابعه. فقال ايتيارخوس إنه قد زاره ذات مرة بعض الرجال من النسامونيين (وهؤلاء قبيلة ليبية تسكن منطقة خليج سدرة والبلاد التي تليه شرقا إلى أمد غير بعيد) ولما دخل عليه النسامونيون وسألهم إذا كان لديهم معلومات جديدة عن صحراء ليبيا، قالوا إن عددهم نغرٌ من أبناء الأعيان هوج، لما بلغوا مبلغ الرجال قاموا بمخاطرات خارقة منها أنهم اختاروا من بينهم بالاقتراع خمسة لعابنة صحراء ليبيا ليروا إذا كان في مقدورهم أن يروا شيئا أكثر مما رأى الذين عابنوا أبعد الآماد. (في هذه الأجزاء من ليبيا التي تقع على البحر الشمالى مبتدئة من مصر وممتدة إلى رأس سولوجس^(١) وهو آخر حدود ليبيا، ينتشر كثير من القبائل الليبية على طول ساحل البحر، وليبيا فيما وراء الشعوب التي تصل بلادها إلى البحر مليئة بالحيوانات المفترسة، في حين أنها فيما يلى الأجزاء التي تغشاها الحيوانات المفترسة صحراء رملية لا ماء فيها البتة وجرداء للغاية) هؤلاء الشبان حينما أرسلهم أقرانهم مزودين كما ينبغى بالماء والمؤن اخترقوا أولا البلاد المأهولة، وبعد أن جاوزوها وصلوا إلى البلاد التي تغشاها الحيوانات المفترسة وجاوزوها إلى الصحراء متخذين طريقهم صوب الغرب، وبعد أن ساروا أياما كثيرة فى صحراء رملية شاسعة رأوا أخيرا أشجارا فى سهل باسقة، فلما وصلوا إليها شرعوا يقطفون ما عليها من ثمار، فما لسوها حتى جاءهم رجال قصار أضال من الرجل العادى، وقبضوا عليهم وساقوهم أسرى. ولم يفهم النسامونيون شيئا من لغتهم ولا فهم

(١) هو رأس سبارتل الآن أو رأس كانتن.

آسروهم شيئا من لغة النسامونيين. وساقوهم عبر مستنقات واسعة فلما جاوزوها وصلوا إلى مدينة كل من فيها فى حجم آسريهم وفى لونهم، سود. وبجوار هذه المدينة ينساب نهرٌ كبيرٌ يجرى من الغرب إلى الشمس المشرقة. وترى فيه التماسيح.

❸❸ ولاكتفى الآن بهذا القدر من قصة ايتيارخوس الآمونى، إلا إنه قرر أن النسامونيين رجعوا سالمين - هكذا أخبرنى القورنياثيون - وإن القوم الذين كانوا قد وصلوا إليهم كانوا جميعا من السحرة. أما ذلك النهر الذى يجرى بالقرب من المدينة فقد استنتج إيتيارخوس أنه نهر النيل، والدليل العقلى يحملنا على الأخذ بهذا الرأى. ذلك أن النيل ينبع من ليبيا ويشطر ليبيا فى منتصفها، وهو يبدأ - فيما أستنتج أنا بالاستدلال من المعلوم على المجهول - على بُعد يساوى بُعد نهر الطونة. لأن نهر الطونة يبدأ من عند الكلتيين ومدينة بيرينى وينساب شاطرا أوروبا فى الوسط (الكلتيون وراء أعمدة هرقل وهم يجاورون الكينييسيين الذين يسكنون فى أقصى الغرب فى كل سكان أوروبا). وينتهى مجرى نهر الطونة مخترقا أوروبا كلها بأن يصب فى البحر فى ذلك الموقع من البحر الأسود الذى أنشأت فيه جالية ملطية مستعمرة إيستريا^(١).

❸❹ ولقد عرف الكثيرون مجرى نهر الطونة لأنه ينساب فى مناطق مأهولة ولكن ليس فى مقدور أحد أن يقول شيئا من منابع النيل، لأن ليبيا التى ينساب فيها غير مأهولة وجرداء. ولقد وصفت مجراه إلى أقصى ما بلغت فى أبحاثى وهو يصب فى مصر. وتقع مصر فى مواجهة

(١) مستعمرة ملطية على البحر الأسود فى إقليم دوبروجه بالقرب من مدينة قسطنجى.

المناطق الجبلية من كيليكية تقريبا. والمسافة من هنا إلى سينوب وهي على البحر الأسود مسيرة خمسة أيام في طريق مستقيم للرجل المجد. وتقع سينوب في مواجهة نهر الطونة حيث يصب في البحر. لذلك يبدو لي أن النيل يخترق ليبيا كلها وينظر نهر الطونة. ولنقع الآن بهذا القدر من الحديث عن نهر النيل.

٣٥ ولكنى سأستهل حديثي عن مصر مسهبا، لأنها تشتمل على روائع أكثر من سائر العالم، وترينا آثارا تفوق الوصف بالنسبة لسائر البلاد. من أجل هذه الأسباب إذن سأحدث عنها أكثر من البلاد الأخرى: المصريون نظرا إلى مناخ بلادهم الخاص، وإلى أن نهرهم له طبيعة خاصة مغايرة لطبيعة سائر الأنهار، قد اتخذوا لأنفسهم عادات وسننا مخالفة من كل الوجوه تقريبا لما يتخذه سائر الشعوب. فالنساء عند المصريين يذهبن إلى الأسواق ويمارسن التجارة؛ أما الرجال فيبقون في البيوت وينسجون وينسج سائر الناس بدفع اللحم من أسفل إلى أعلى، أما المصريون فيدفعونها من أعلى إلى أسفل، والرجال يحملون الأثقال على رؤوسهم أما النساء فيحملنها على أكتافهن. وهم يتغوطون في بيوتهم ويأكلون في الخارج في الطرقات، محتجين بأن الضرورات القبيحة يجب أن تؤتى في الخفاء، أما غير القبيحة فتؤتى جهرا. والمرأة عندهم لا تكون كاهنة لإله أو إلهة، أما الرجال فمنهم الكهنة لكل الآلهة والآلهات. وليس عندهم من تكليف يضطر البنين إلى كفالة والديهم إذا لم يشاءوا، والتكليف عام بالنسبة للبنات حتى لو لم يشأن.

٣٦ وكهنة الآلهة في كل مكان آخر يطلقون شعورهم، أما في مصر فيحلقونها، والسنة عند سائر الشعوب في الحداد أن يحلق الذين يتصل بهم الأمر من قريب رؤوسهم، أما المصريون فبعد وقوع الموت يطلقون شعورهم على رؤوسهم وأجسادهم وقد كانت من قبل مخلوقة. ويعيش سائر الناس بعيدا عن الحيوانات أما المصريون فيعيشون معها. ويعيش سائر الناس على القمح والشعير، والمهانة العظمى لمن يعيش عليهما من المصريين فهم يصنعون خبزهم من الذرة التي يسميها البعض القمح الوحيد الحبة وهم يعجنون العجين بالأقدام، أما الطين فبالأيدي وبها يرفعون الروث. أما الثياب فللرجل الواحد ثوبان وللمرأة ثوب واحد، ويربط سائر الناس حلقات الشراع وحبالها من الخارج، أما المصريون فيربطونها من الداخل. ويكتب اليونانيون ويحسبون ببد اليد من اليسار إلى اليمين أما المصريون فيمدونها من اليمين إلى اليسار. وفيما هم على هذا النهج يقولون إنهم يكتبون إلى اليمين، في حين أن اليونانيين يكتبون إلى اليسار، وهم يتخذون نوعين من الكتابة واحدة تسمى عندهم مقدسة والأخرى عامة^(١).

٣٧ وهم شديدا التقوى أكثر من سائر الشعوب. وهذه هي السنن التي يتبعونها: يشربون من أقداح برونزية ويغسلونها كل يوم - كلهم بغير استثناء - وهم شديدا الاحتفال بأن تكون الملابس الكتانية التي يلبسونها حديثة الغسل دائما. ويحلق الكهنة كل أجسامهم كل يومين، لئلا يتولد فيها قمل أو غيره من الحشرات أثناء قيامهم بخدمة الآلهة.

(١) الكتابة المقدسة هي الهيروغليفية والعامية هي الديموطيقية.

ويتخذ الكهنة ثيابهم من الكتان وحده وأحذيتهم من البردى. ولا يسمح لهم بلبس غير ذلك من الملابس أو الأحذية. وهم يستحمون مرتين كل نهار بالماء البارد ومرتين بالليل. وهم يرعون من الطقوس مالا يعد ولا يحصى كما نقول. وهم يتمتعون كذلك بامتيازات كثيرة: فهم لا يستهلكون ولا ينفقون شيئا من دخلهم الخاص، بل يخبز لهم خبز مقدس، ويعطى كل واحد منهم كل يوم قدر كبير من لحم الثيران والأوز، والخمر التى تقدم لهم مصنوعة من العنب، ولا يجوز لهم تناول الأسماك ولا يبذر المصريون الفول فى حقولهم مطلقا، ولا يذوقون ما قد ينبت منه فجا أو مطبوخا. أما الكهنة فلا يطيقون النظر إليه لأنهم يعتقدون أنه بقل دنس. وليس لكل واحد من الآلهة كاهن واحد بل كثيرون. وأحدهم هو كبير الكهنة. وحينما يموت واحد من الكهنة، يعين ابنه فى مكانه.

ويعتقدون أن الثيران مقدسة لإبافوس وهم لذلك يفحصونها بالطريقة الآتية: إذا رأى الكاهن شعرة واحدة سوداء فى بدن الثور اعتقد أن الحيوان دنس. ويقوم واحد من الكهنة يوكل إليه هذا الأمر بفحص الحيوان حينما يكون الحيوان قائما مرة وراقدا أخرى، ويجذب لسانه ليرى إذا كان طاهرا بحسب سيمات معينة سأتناولها بالكلام فى موضع آخر^(١). ويفحص شعر الذيل كذلك ليرى إذا كان الشعر ينبت طبيعيا. فإذا كان الثور طاهرا من كل هذه الوجوه يختمه بأن يلف قطعة من البردى حول قرنيه ويلصقها بصلصال لزج ثم يضع عليها خاتمة. وهكذا

(١) فى الكتاب الثالث، فصل ٢٨.

بذهبون بالثور. والسوت هو العقوبة المقررة لن يضحي بثور غير مختوم. هذه إذن طريقة فحص الحيوان.

٣٩ أما طريقتهم فى تضحيته فهكذا: يسوقون الثور المختوم إلى المذبح حيث تكون التضحية، ثم يشعلون نارا، وبعد ذلك يسكبون خمرا على المذبح فوق الضحية، ثم ينحرون داعين للإله. وبعد نحر الذبيحة يفصلون الرأس أما الجسم فيسلخونه ويأخذونه. وبعد ذلك يستنزلون لعنات كثيرة على تلك الرأس. أما الذين لديهم سوق وتجار يونانيون فى مدينتهم فيحملون الرأس إليه ويبيعونه فى الحال، وأما الذين لا يعيش يونانيون بينهم فيلقون بالرأس فى النهر. وهذه هى اللعنات التى يتلونها على الرأس: «إن كانت مصيبة توشك أن تقع للمضححين أنفسهم أو لمصر على العموم فلتقع على تلك الرأس». ويتبع المصريون كلهم فيما يتعلق برؤوس الحيوانات المضحي بها وبتقريب الخمر هذه الشعائر نفسها، ويطبقونها على كل الذبائح ووفقا لهذه السنة لا يذوق أحد من المصريين البتة رأس أى كائن ذى روح.

٤٠ وتختلف عندهم طريقة استخراج أحشاء الضحية وحرقتها باختلاف الضحية. وسأبدأ بوصف الطريقة الخاصة بالإلهة^(١) التى يعتبرونها أعظم الآلهات ويحيون من أجلها أعظم الأعياد. بعد أن يسلخوا الثور ويفرغوا من الصلوات يخرجون المصارين كلها، ولكنهم يتركون داخل الجسم الأحشاء والدهن، ثم يقطعون الأرجل وأطراف العجز والأكتاف والرقبة، وبعد أن يقوموا بهذا يملأون بقية جسم الثور

(١) يظهر أن كلمة إيزيس سقطت من النص بعد كلمة إلهة.

خبزا طاهرا وعسلا وزبيبا وتينا وبخورا ومرا وغيرها من الطيب. وبعد أن يملاؤه بهذه الأشياء يسكبون عليه زيتا كثيرا ثم يحرقونه. وهم يصومون قبل التضحية، ويضرب الجميع صدورهم أثناء احتراق الضحية. فإذا ما فرغوا من ضرب صدورهم يوضع أمامهم الطعام وهو ما أبقى عليه من جسم الذبيحة.

٤٦ ويضحى المصريون كلهم بالثيران والعجول الطاهرة ولا يحل لهم أن يضحوا بالأبقار فهي مقدسة لإيزيس. وتمثال إيزيس على هيئة امرأة ولكن له قرنين، على نفس الصورة التي يصور بها اليونانيون إيو^(١) ويعظم المصريون جميعا على حد سواء الأبقار أكثر من سائر الماشية بكثير. ولذلك لا يقبل مصري أو مصرية يونانيا في فمه، ولا يستعمل سكين يوناني أو سفودة أو قِدْرَة، ولا يذوق لحم ثور طاهر إذا كان مقطوعا بسكين يونانية. وهم يدفنون الثيران النافقة على النحو الآتي: أما الإناث فيلقونها في النهر وأما الذكور فيدفنها سكان كل إقليم في إقليمهم ويدعون قرنا أو القرنين معا بارزين حتى يكونا علامة على مكان الدفن. وعندما تتحلل الجثة ويأتي اليوم المعلوم تصل إلى كل مدينة سفينة من الجزيرة التي تسمى بروسوبيتيس^(٢) وهي في الدلتا ومحيطها تسعة سخينوس. وفي جزيرة بروسوبيتيس هذه توجد مدن كثيرة، أما المدينة التي تأتي منها

(١) كان اليونانيون يعتقدون أن زيوس أحب أبو فغارت زوجة هيرا ومسخت إيو بقرة. وظلت هذه تنتقل على هذا الحال من أوروبا إلى آسيا إلى أن حطت رحالها في مصر وفيها استعادت هيئتها الأولى وأنجبت إيافوس.

(٢) جزيرة في الدلتا حوصر فيها اليونانيون الذين جاءوا لمساعدة إناروس في ثورته ضد الفرس واضطروا إلى التسليم في سنة ٤٥٤ ق.م.

السفن لتحمل عظام الثيران فاسمها مدينة أتابرخيس^(١) وفيها يقوم معبد أفروديت المقدس. ومن هذه المدينة يرحد أقوام فيذهب كل رهط منهم إلى مدينة، ويستخرجون العظام ويذهبون بها ويدفنونها معا فى مكان واحد. وهم يدفنون سائر الأنعام النافقة بنفس الطريقة التى يدفنون بها الثيران. سُن على ذلك عندهم بشأن الأنعام أيضا، وهم لا يذبحونها.

٤٢ ويتجنب كل الذين يقيمون لديهم معبدا لزيوس الطيبى وأهل إقليم طيبة الأغنام ويضحون بالمعزى. (المصريون لا يعبدون كلهم سواء نفس الآلهة إلا إيزيس وأوزوريس الذى يقولون إنه ديونيسوس، فكلهم سواء يعبدون هذين الإلهين). ويتجنب الذين يقيمون لديهم معبدا لمنديس^(٢) وأهل إقليم منديس المعزى ويضحون بالأغنام.

ويروى الطيبيون والذين ينحون نحوهم فى نبذ الأغنام القصة التالية فى نشأة هذه السنة: «كان هرقل يريد أن يرى زيوس بأية طريقة، ولم يثأ هذا أن يراه هرقل، وأخيرا وبعد أن ألح هرقل اهتدى زيوس إلى الحيلة الآتية: «سلخ كبشا وقطع رأسه، ثم لبس الرأس والفروة وهكذا أظهر نفسه لهرقل». ولذلك يصوغ المصريون تمثال زيوس ذا وجه كبش. وعن المصريين أخذ الآمونيون ذلك فهم جالية من المصريين، والأحباش يتكلمون لغة هى وسط بين الاثنين. ومن هنا أخذ الآمونيون - فيما يبدو لى - اسمهم لأن المصريين يسمون زيوس آمونا، ومن أجل ذلك لا يضحى

(١) يدل الجزء الأول من الكلمة على أنها مركبة من كلمة أتور أو هاتور وقد كانت إيزيس

تعبد بهذا الاسم.

(٢) منديس هنا تعنى أوزيريس وكان الكبش يعبد فى منديس ولكن اليونانيين ظنوه الماعز.

الطيبيون بالكباش فهي عندهم مقدسة. وهم يذبحون كبشا واحدا في يوم واحد من السنة في عيد زيوس ويسلخونه ويلبسون تمثال زيوس كما جاء في القصة، ثم يحضرون إليه تمثالا آخر يصور هرقل. وبعد أن يأتوا هذا، يضرب كل من يحقون بالمعبد صدورهم حزنا على الكباش ثم يدفنونه في قبر مقدس.

❦ ولقد سمعت رواية عن هرقل تقول إنه أحد الآلهة الإثني عشر ولكنى لم أستطع أن أعرف شيئا في أى مكان من مصر عن هرقل الآخر الذى يعرفه اليونانيون. ولدى براهين كثيرة على أن المصريين لم يأخذوا عن اليونانيين اسم هرقل بل أخذته عن المصريين تلك الطائفة من اليونانيين التى تطلق اسم هرقل على ابن أمفيتريون. وإنى أخص بالذكر منها هذا البرهان وهو أن أمفيتريون والكمينا أبوى هرقل هذا كانا كلاهما مصرى المولد. ويقول المصريون إنهم لا يعرفون اسم بوزيدون ولا ديوسقورى^(١) وأن هذين لم يعترف بهما إلهين بين سائر الآلهة عندهم فلو أنهم كانوا قد أخذوا عن اليونانيين اسم أى إله لاحتفظوا بذكر هذين قبل سواهما. ولقد كان المصريون حتى فى ذلك العصر يمارسون الملاحاة كما أعتقد وكما يهدينى الفكر وكان بعض اليونانيين ملاحين. فكان الأولى بالمصريين أن يعرفوا اسمى هذين الإلهين لا اسم هرقل. لا، إن هرقل إله قديم جدا عند المصريين، فإنهم كما يقولون أنفسهم يعتبرون هرقل واحدا من الآلهة الإثني عشر التى نشأت عن الآلهة الثمانية قبل حكم أمازيس بسبعة عشر ألف عام.

(١) الكلمة تعنى فى اليونانية ابنى زيوس وهما كاستور ويولوكس.

٤٤

ولقد أردت أن أستقى معلومات دقيقة عن هذه المسائل من الذين يفقهونها، فأبحرت إلى صور في فينيقية إذ علمت أن هناك معبدا مقدسا لهرقل^(١). ولقد رأيت مزانا بكثير من النصب من بينها عمودان أحدهما من الذهب المصقول والآخر من الزمرد وهو ضخم الحجم ينير في الليل، وبعد أن دخلت في حديث مع سدنة الإله سألت كم من الزمان انقضى منذ أقيم عندهم المعبد. ولكنني وجدت أن هؤلاء أيضا لا يتفقون مع اليونانيين لأنهم يقولون إن معبد الإله أقيم يوم أنشئت صور، وأنه قد انقضى على إنشاء صور أغان وثلثمائة عام. ولقد رأيت في صور معبدا آخرًا لهرقل يحمل اسم الثاسوسي. ومن ثم رحلت إلى ثاسوس فوجدت فيها معبدا لهرقل أقامه الفيثيقيون الذين أسسوا ثاسوس أثناء تجوالهم في البحث عن أوروبا وكان ذلك قبل ميلاد هرقل بن امفيتريون في بلاد اليونان بخمسة أجيال كاملة. هذه الأبحاث إذن توضح بجلاء أن هرقل إله قديم. وهكذا يخيل إلى أن الطائفة من اليونانيين الذين شيدوا وأقاموا معبدين لهرقل يضحون لأول بصفته أزليا ويلقبونه بهرقل الأولمبي، ويقدمون القرابين للثاني بصفته بطلا، على غاية من الصواب.

٤٥

ويروى اليونانيون قصصا كثيرة بغير تدبر منها هذه القصة السخيفة التي يروونها عن هرقل: إذ يحكى أن هرقل جاء إلى مصر فكلل المصريون رأسه وزفوه في موكب ليضحوا به لزيوس. أما هو فقد اعتصم بالصمت برهة ولما بدأوا يقيمون طقوس التضحية أمام المذبح لجأ

(١) هو الإله ملقرت في صور.

إلى قوة بأسه وقتلهم جميعا. ويبدو لي أن اليونانيين يبذون بقولهم هذا جهلهم العميم بطبيعة المصريين وعاداتهم. فكيف يجوز لقوم لا تحل لهم التضحية بالحيوان إلا الخنازير والثيران والعجول ما كان منها طاهرا والأوز، أن يضحوا بآدميين؟ وكيف يتأتى لهرقل وهو بعد فرد آدمى كما يقولون أن يقتل كل هذه الألو؟ ولنكتف بهذا القدر من الحديث في هذه المسائل وليكن حديثنا مقبولا لدى الآلهة والأرباب.

٤٦ ولا ينحر المصريون الذين أسلفت ذكرهم الماعزة أو الماعز للأسباب الآتية: يقول أهل منديس إن بان أحد الآلهة الثمانية الذين كانوا في زعمهم قبل الآلهة الإثنى عشر، ويرسم المصورون والمثالون صورة بان ويحفرونها كما هو الأمر عند اليونانيين ذات وجه ماعزة ورجلي ماعز ولو أنهم لا يعتقدون أنه على تلك الهيئة بل يشبه سائر الآلهة. أما السبب الذي يصورونه من أجله على تلك الهيئة فأكثر طرافة عندنا من أن نهمل ذكره، يقدر أهل منديس كافة المعزى ولكن الذكور منها أكثر من الإناث ورعاة الذكور يحظون بتعظيم أكثر من رعاة الإناث. ويقدر واحد من الذكور بوجه خاص، فإذا مات يعم الحداد العظيم كل إقليم منديس. وفي مصر يسمى الماعز وبان كلاهما بمنديس.

٤٧ ويرى المصريون أن الخنزير حيوان دنس. فأولا، إذا لامس واحد أثناء عبوره خنزيرا ذهب إلى النهر وألقى فيه بنفسه بملابسه من فوره. وثانيا، رعاة الخنازير، مع أنهم مصريو المولد، لا يدخلون دون سائر المصريين معيدا واحدا من جميع معابد مصر، ولا يرضى أحد أن

يزوجهم من ابنته. أو يتخذ منهم زوجا، بل إن رعاة الخنازير يتزاوجون فيما بينهم. والآن، فمع أن المصريين لا يوافقون على نحر الخنازير لسائر الآلهة فإنهم ينحرونها لسيليني وديونيسوس وحدهما في وقت واحد وذلك عندما يكون القمر بدرا، وبعد نحرها يأكلون لحمها. أما لماذا يكرهون الخنازير في سائر أعيادهم. وينحرونها في هذا العيد، فلا يجوز لي أن أذكر السبب الذي يتحدث به المصريون، ولو أنى عالم به. وعتر الخنازير لسيليني يكون على النحو الآتى: عندما يعترها العاتر يضع طرف الذيل والطحال والغشاء المهبلى بعضها مع بعض ثم يلفها بكل ما يوجد حول بطن الحيوان من دهن، ثم يحرقها قربانا. ويؤكل باقى اللحم فى البدر الذى تقرب فيه العتيرة. ولا يذوقونه البتة فى سائر الأيام. أما الفقراء منهم فلقلة مواردهم يصورون من العجين خنزيرا ويخبزونه ثم يقدمونه قربانا.

٤٨ وفى ليلة العيد ينحر كل واحد أمام بيته عفرا لديونيسوس ثم يرده إلى الراعى الذى باعه إياه ليأخذه. ويحیی المصريون سائر شعائر العيد لديونيسوس بطريقة تشبه الطريقة المتبعة فى بلاد اليونان من جميع الوجوه تقريبا، فيما عدا الرقص، وبدلا من المذاكير ابتكروا تمثالا طوله ذراع يتحرك بوساطة خيط يحمله النساء ويطفن به فى القرى. ويكون الذكر متحركا ولا يقل كثيرا فى حجمه عن الجسم كله. ويتقدم الزمار الموكب، وينشد النساء اللائى يتبعنه المدائح لديونيسوس. وهم يدلون بقصة دينية تبين لماذا كان الذكر كبير الحجم، ولماذا يتحرك دون سائر الجسم.

٤٩ ويبدو لى أن ميلامبوس^(١) بن أنيثيون لم يكن جاهلا بهذا العيد، بل كان عالما به. فميلامبوس كان أول من أدخل فى بلاد اليونان اسم ديونيسوس^(٢) وعيده وموكب الذكر، وهو لم يفهم على وجه الدقة العقيدة التى بشر بها بحذافيرها. ولكن الفقهاء الذين تلوه أوضحوها أحسن منه. ومهما يكن من شىء، فإن ميلامبوس هو أول من أدخل الذكر الذى يحمل فى موكب ديونيسوس. وعنه أخذ اليونانيون ما يعملون. وإنى أقرر أن ميلامبوس كان رجلا حاذقا، وضع لنفسه طريقة للعرافة، وأنه تعلم من مصر أشياء كثيرة مختلفة أدخل منها فى بلاد اليونان شعائر ديونيسوس مع تعديل بسيط، وإنى لن أقر بحال أن شعائر ديونيسوس فى مصر وفى بلاد اليونان متفقة بمحض المصادفة. فلو كان الأمر كذلك لكانت شعائر ديونيسوس فى بلاد اليونان تحمل طابع العادات اليونانية، وما كانت حديثة الدخول فيها. لا ولن أقول إن المصريين أخذوا هذه السنة أو أى سنة غيرها عن اليونانيين. والرأى عندى على وجه التحقيق أن ميلامبوس تعلم شعائر ديونيسوس من قادموس^(٣) الصورى ومن أولئك الذين ارتحلوا معه من فينيقية إلى البلاد التى تدعى الآن بيوشيا.

٥٥ ولقد جاءت أسماء الآلهة كلها تقريبا إلى بلاد اليونان من مصر. فأما أنها قد أتتنا كلها من الأجانب فأمر قد حققته بالبحث، ويبدو لى

(١) كان اليونانيون يعتقدون أن ميلامبوس أخذ الحكمة عن الحية، وعن وحى أبوللو، وهو فى زعمهم أقدم الحكماء والعرافين.

(٢) جاءت عبادة ديونيسوس من الشمال لا من فينيقية كما يقول.

(٣) هو ابن ملك فينيقية، وكان اليونانيون يعتقدون بحق أن الحروف الهجائية جاءتهم

من فينيقية.

أن أكثرها جاء من مصر. ذلك أن أسماء الآلهة فيما عدا اسمى بوزيدون والديوسقورى - كما بينت آنفا - وأسماء هيرا وهيستيا، وشميس، وخاريتيس ونيريديس^(١). كانت دائما منذ قديم الزمان فى أرض مصر. وإنى أقرر هنا ما يذكره المصريون أنفسهم. أما أسماء الآلهة التى يقولون إنهم يجهلونها فيبدو لى أن البيلاسجيون هم الذين أسموها، فيما عدا بوزيدون فقد عرفوا هذا الإله من الليبيين. إذ إن اسم بوزيدون لم يوجد منذ البدء عند قوم غير الليبيين الذين كانوا يعظمون هذا الإله دائما، ولا يعترف المصريون بالأبطال أيضا.

٥١ ولقد أخذ اليونانيون عن المصريين هذه الشعائر وغيرها فضلا عنها مما سأتى على ذكره. ومع ذلك فهم لم يتعلموا من المصريين صناعة تماثيل هرمس ذات الذكر المنتصب فقد كان الآثينيون أسبق اليونانيين كلهم إلى أخذها عن البيلاسجيين، وعنهم أخذها سائر اليونانيين. فقد حدث فى الوقت الذى كان الآثينيون قد اعتبروا فيه فعلا من اليونانيين أن شاركهم البيلاسجيون فى سكنى أرضهم، ومنذ تلك الحادثة بدأ الاعتراف بالبيلاسجيين كيونانيين.

وكل من دخل فى طقوس الكابيرى^(٢) السرية التى أخذها الساموثراقيون عن البيلاسجيين، ويحيونها الآن يفهم ما أعنى. فهؤلاء البيلاسجيون

(١) هيرا زوج زيوس كبير الآلهة، وهيستيا - عند الرومان فستا - هى ربة نار المنزل المقدسة، وتميس إلهة القانون والنظام، وخاريتيس هن آلهة الرشاقة والجمال، والنيريديس كن خمسين من آلهة البحر.

(٢) آلهة رحيمة مقرها جزيرة ساموثراقيا. وقد أقيم لعبادتها معبد فى منف انتهك قمبيز حرمة عندما غزا مصر. ويظهر من كلام هيرودوت أنه دخل فى هذه العبادة.

الذين أصبحوا شركاء للآثينيين فى وطنهم كانوا من قبل يسكنون ساموثراقيا. وأخذ عنهم الساموثراقيون طقوسهم السرية. فالآثينيون إذن، وهم أول من صنع تماثيل هرمس ذات الذكر المنتصب من اليونانيين، تعلموا صناعتها من البيلاسجيين. ويروى البيلاسجيون قصة دينية عن هرمس يتجلى مغزاها فى طقوس ساموثراقيا السرية.

٥٢ كان البيلاسجيون من قبل - فيما علمت بالسماع فى دودونا- يشفعون تضحياتهم كلها بالدعاء لآلهة لم يطلقوا على واحد منها كنية أو اسما. لأنهم لم يكونوا قد سمعوا بعد بأسمائها. وسموها آلهة لأنها ترتب كل شىء وببيدها كافة الأقدار. وبعد مضى زمن طويل عرفوا أسماء الآلهة كلها عندما جاءتهم من مصر ماعدا اسم ديونيسوس فقد عرفوه بعد ذلك بزمن طويل. وبعد حين استنبأوا هاتف دودونا بشأن الأسماء، لأن هذا الهاتف يعتبر أقدم هاتف فى بلاد اليونان وكان حينئذ الهاتف الوحيد فيها. لما استنبأ البيلاسجيون هاتف دودونا عما إذا كان لهم أن يتخذوا الأسماء التى جاءتهم من الأجنب، أجب بأن عليهم أن يتخذوها. ومنذ ذلك الحين استعملوا الأسماء أثناء التضحية، وعن البيلاسجيون أخذها اليونانيون فيما بعد.

٥٣ ولم يعرف اليونانيون من أين نشأ كل واحد من الآلهة أم هل كانوا جميعا أزليين وما شكلهم إلا بالأمس أو أول من أمس كما يقولون. وإنى شخصيا أعتقد أن هيسبيودوس^(١) وهوميروس عاشا قبل

(١) شاعر يونانى من مدينة أسكرا فى بيوشيا عاش حوالى ٧٥٠ ق.م. بعد هوميروس على التحقيق وأهم أعماله هى كتاب «الأعمال والأيام» و«درع هرقل».

زمانى بأربعمائة سنة لا أكثر، وهما اللذان أثبتنا لليونانيين أنساب الآلهة وأطلقا عليها ألقابها وفصلا عباداتها واختصاصاتها، وبيننا أشكالها. وإنى شخصيا أعتقد أن الشعراء الذين يقال إنهم سبقوا هذين قد عاشوا فى الحقيقة بعدهما. والشطر الأول مما سلف هو مما تذهب إليه كاهنات هاتف دودونا، أما الشطر الثانى فى هيسىودوس وهومىروس فما أقول به أنا شخصيا.

٥٤ وىروى المصرون القصة التالية بشأن الهاتفين اللذين يوجد أحدهما فى بلاد اليونان والآخر فى ليبيا. قال كهنة زيوس فى طيبة إن الفينيقيين سرقوا امرأتين مقدستين من طيبة وأخذوهما واحدة إلى ليبيا والأخرى إلى بلاد اليونان حيث بيعتا، وأن هاتين المرأتين هما اللتان أنشأتا الهاتفين أولا فى الموضوعين المذكورين. ولما سألتهم كيف تأتى لهم أن يتحدثوا بهذا العلم الدقيق أجابوا بأنهم لم يستطيعوا العثور عليهما بالرغم من قيامهم من جانبهم ببحث شامل عنهما، وأنهم عرفوا فيما بعد القصة التى أدلوا بها.

٥٥ هذا إذن ما سمعته من الكهنة فى طيبة. أما عرفات دودونا فقد روين ما يلى: «طارت حمامتان سوداوان من طيبة المصرية، فذهبت إحداهما إلى ليبيا وحطت الأخرى عندهم، واعتلت هذه شجرة سنديان وأعلنت بصوت آدمى أنه قد أوحى أن يقوم هاتف لزيوس هناك. وفهم القوم أن البشرى ربانية، وأقاموه وفقا لهذا الوحى. أما الحمامة التى ذهبت إلى ليبيا فقد أمرت الليبيين بإقامة هاتف آمون وهو خاص بزيوس كذلك». هذا ما روته كاهنات دودونا، وتسمى كبراهن برومينيا، التى

تليها تيماريتي وأصغره نيكاندري. ويوافقهن سائر الدودونيين الذين يتصلون بالمعبد فيما ذهبن إليه.

٥٦ وهذا هو رأيي الشخصي في هذه المسائل: إذا كان الفينيقيون قد اقتنصوا هاتين المرأتين المقدستين حقيقة، وباعوا إحداهما في ليبيا والأخرى في بلاد اليونان، فيخيل إلى أن الثانية قد بيعت إلى الثيسبروتيين الذين ينتمون إلى ما يسمى الآن بلاد اليونان وقد كانت هي بعينها تسمى فيما سبق بلاد بيلاسجيا. وفيما هي تحيا هناك حياة الرق أقامت تحت شجرة سنديان نامية معبدا لزيوس. فقد كان من الطبيعي بعد أن خدمت في معبد زيوس في طيبة أن تحتفظ بذكراه حيث ذهبت. وبعد أن تعلمت اللغة اليونانية أقامت هاتفا في المعبد. وقالت إن أختها قد بيعت في ليبيا على يد أولئك الفينيقيين الذين باعوها هي أيضا.

٥٧ ويبدو لي أن الدودونيين قد سموا المرأتين حمامتين لأنهما كانتا أجنبيتين، فخيل لهما أنهما تخرجان أصواتا مثل الطير. وبعد حين قالوا إن الحمامة تتكلم بصوت آدمي وذلك عندما أخرجت المرأة كلاما لديهم. ولكنها طالما كانت تتكلم لغة أجنبية بدت كأنها تخرج أصواتا مثل الطير. كيف يتأتى لحمامة أن تتحدث بصوت آدمي؟ وهم حين يقررون أن الحمامة كانت سوداء يبينون أن المرأة كانت مصرية. وتتشابه طرق الاستنباه عند الهاتف الذي في طيبة وذلك الذي في دودونا. ولقد جاءت العرافة عن طريق النظر في أحشاء الضحية من مصر كذلك.

٥٨ ولقد كان المصريون ولا شك أسبق الشعوب إلى إقامة الأعياد والموكب والصلوات، وعنهم تعلمها اليونانيون. والدليل عندي على ذلك أنها تقام عندهم منذ زمان طويل ولم تُحيا الأعياد اليونانية إلا حديثا.

٥٩ ولا يحيى المصريون العيد مرة واحدة في السنة، بل إنهم يحيون أعيادا كثيرة أهمها وأقدسها يقام في مدينة بوباسطيس لارتيمس، ويليه ما يقام في بوسيريس، ففي هذه المدينة معبد ضخم لايزيس، وهي تقع في وسط الدلتا المصرية، وإيزيس في اللغة اليونانية هي ديميتير، وثالثها يقيمونه في مدينة سايس لأثينة، ورابعها في مدينة هليوبوليس لهليوس، وخامسها في مدينة بوطون ليطو وسادسها في مدينة بابريميس لآريس.

٦٥ وحينما ييممون شطر مدينة بوباسطيس يسلكون المسلك الآتي: يبحر الرجال والنساء معا، ويكون في كل قارب لفيف كبير من الجنسين ويمسك بعض النسوة بالطبول ويطنبن في حين يزمز بعض الرجال طوال الرحلة، أما باقى النسوة والرجال فيغنون ويصفقون. وكلما وصلوا في طريقهم تجاه مدينة ما، جنحوا بمركبهم نحو الشاطئ، ويدأب بعض النسوة على عمل ما قد وصفت، ويهتف بعضهن بنساء المدينة ويسخرن منهن، ويرقص بعضهن، وهم ينهجون هذا النهج عند كل مدينة على شاطئ النهر، وعندما يصلون إلى بوباسطيس يحيون العيد بتضحيات عظيمة، ويستهلك من النبيذ في هذا العيد أكثر مما يستهلك في بقية العام كله، ويجتمع لإحياء هذا العيد من الرجال والنساء دون الصبيان حوالي ٧٠٠ ألف نسمة فيما يقول أهل البلاد.

٦١ هذه إذن هي سنتهم في هذا العيد، ولقد وصفت فيما سبق كيف يحيون العيد لإيزيس في مدينة بوسيريس، فهناك بعد التضحية، يضرب الرجال والنساء جميعاً صدورهم، وهم آلاف كثيرة جداً من الناس، وليس لي أن أذكر على من يحددون. ويتمادى الكاريون^(١) المقيمون في مصر في تلك الأعمال حتى أنهم ليقطعون وجوههم بالسكاكين وهكذا يظهرون أنهم أجانب وليسوا مصريين.

٦٢ وعندما يجتمعون للتضحية في مدينة سايس يشعل كل واحد في الليل مصابيح كثيرة في الهواء في دائرة حول منزله، وهذه المصابيح عبارة عن صحاف مملوءة بمزيج من الملح والزيت ويطفو على سطحها الفتيل وتشتعل المصابيح طوال الليل، ومنها أطلق على العيد اسم «عيد المصابيح». أما الذين لا يذهبون من المصريين إلى الاحتفال فيحرصون على أن يشعلوا هم أنفسهم أجمعين المصابيح في ليلة التضحية. وهكذا فالعيد لا يقام في سايس وحدها بل في مصر كلها. وهم يروون قصة دينية تبين السبب الذي من أجله تقدس هذه الليلة وتضاء.

٦٣ ويقرب الذين ييممون شطر مدينة هليوبوليس وبوطو التضحيات فحسب. أما في بابريميس فيقربون التضحيات ويحيون الشعائر كما في سائر البلاد. وحينما تجنح الشمس للمغرب تتفرغ طائفة قليلة من الكهنة لتمثال الإله، أما أكثر الكهنة فيقفون في مدخل المعبد ممسكين بعصى خشبية، ويقف قبيلهم رهط آخر من الرجال يوفون نذورهم، وهم يزيدون

(١) من مقاطعة كارية في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى.

عن الألف عدا، وبمسكون بعضى خشبية مثل الآخرين. أما تمثال الإله فيوضع فى مقصورة صغيرة من الخشب المذهب وينقل فى ليلة العيد إلى وضع مقدس آخر. أما الفئة القليلة التى كانت قد تركت للعناية بالتمثال فتجر مركبة ذات أربعة عجلات، فوقها المقصورة وقد وضع فيها تمثال الإله. ويحاول الكهنة الواقفون بمدخل المعبد أن يمنعوهم من الدخول فيخف الذين يوفون النذور لنجدة الإله ويضربونهم. فيدافع هؤلاء عن أنفسهم وهنا تحمى معركة العصى، وتشج رؤوس، ويبدو لى أن الكثيرين يموتون بجراحهم، ولو أن المصريين ينفون أن أحدا يموت من جرائها. والسبب فى إحياء هذا العيد فيما يقول أهل البلاد هو إن أم آريس كانت تسكن فى هذا المعبد، ولما بلغ آريس مبلغ الرجال جاء بغية التحدث إلى أمه لأنه كان قد ربي بعيدا عنها، ولم يكن وصفاء أمه قد رأوه من قبل فلم يأذنوا له فى الدخول بل ردوه. فجمع رجالا من مدينة أخرى وأخذ الوصفاء بشدة، ودخل إلى أمه، ذلك هو أصل المعركة التى يقيمونها تكريما لآريس فيما يقولون.

٦٤ والمصريون هم أول من جعل من عدم مجامعة النساء فى المعابد وعدم دخول المعابد بعد الجماع دون اغتسال سنة دينية مرعية. وكل الشعوب تقريبا فيما عدا المصريين واليونانيين يجامعون فى المعابد ويدخلونها بعد الجماع دون اغتسال. وهم يرون أن شأن الإنسان فى ذلك شأن سائر الحيوان، فالحيوان والطيير يعاشر فى معابد الآلهة وحرمها. فلو أن ذلك الأمر لم يكن محببا إلى الرب ما أتاه الحيوان. وهم يتعللون

بمثل هذه المبررات لأعمال هي عندي غير مرضية. ويرعى المصريون بصرامة سائر المناسك في معابدهم وعلى الأخص هذا الذي ذكرت.

٦٥ ومع أن مصر متاخمة لليبيا فهي ليست غاصة بالحيوانات، وكل الحيوانات التي عندهم تعتبر مقدسة، وبعضها مستأنس والبعض الآخر غير مستأنس. ولو أنني ذكرت الأسباب التي قدست من أجلها الحيوانات لاستطردت في حديثي إلى الشئون الدينية وهو أمر أتحاشى بوجه خاص الخوض فيه. أما ما عرضت له مما ذكرت من هذه الشئون فقد ذكرته مدفوعا بمقتضى الحديث. والسنة الغالبة في أمر هذه الحيوانات هي أن يعين من المصريين، رجال ونساء، حراسا لكل نوع منها على حدة، ويتوارثون هذه الوظيفة الابن عن أبيه. ويوفى كل واحد من سكان المدن نزورهم إليها بالطريقة الآتية: حينما يندرون للإله الذي يقدس له الحيوان، يحلقون رؤوس أبنائهم إما الرأس كله أو نصفه أو ثلثه، ويقومون الشعر بزنته فضة، ويعطى المنذر قدر زنته مهما تكن إلى حارسة الحيوان، وفي مقابل هذا يقطعون شريحة من السمك ويقدمونها للحيوانات غداء.

هذه هي التربية التي خصت بها هذه الحيوانات. والموت عقوبة من يقتل واحدا من هذه الحيوانات عامدا. أما إذا قتل امرؤ أحدها غير عامد فيؤدى الجزاء الذي يفرضه الكهنة، أما إذا كان ما قتل أبو منجل أو صقر فسواء كان قاتلها عامدا أو غير عامد يقتل حتما.

٦٦ وكثير من الحيوانات عندهم مستأنسة. وكانت تكون أكثر مما هي بكثير لو لم تتعرض القطط لما يأتى: حيث إن الإناث منها عندما

ءلء لا ءعاشر الءكور فءصء الءكور بالرءم من شبعها رير ءاءرة على معاشرة الإناء، فءء فكرء لءلك بءبء فى أن ءءءص من الإناء صغارها أو ءسرقها وءقءلها، ولكنها لا ءاكلها بعء قءلها. وبعء أن ءءرم الإناء صغارها، ءصء شءىءة الرءبة فى ريرها وهءءا ءءهب إلى الءكور ولاشء، لءك أن هءا الءىوان شءىء الءب لصغاره. وءىنما ىشب ءرىق ىسءول على القءط إءساس ررىب. فىنءءى المصرىون ءانبا، وىهملون إءفاء الءرىق، وىراقبون القءط. فءنساب القءط بىن الناس، أو ءقفز فوق رؤوسهم، وءءب إلى النار. وءصىب هءه الءواءء المصرىىن بءزن عظمى. وءا ماءء قءة فى بىء شءص موءا ءبىعىا ىءلق كل أهل البىء ءواءبهم فقط، أما ءا ماء فى البىء كلب فىءلقون الءسم كله والرأس أىضا.

٦٧ وءنقل القءط بعء موءها إلى مقاصىر مقءسة فى مءىنة بوباسءىس ءىء ءءنط وءءفن. أما إناء الكلاب فىءفنها أهل كل مءىنة فى مقابر مقءسة. وىءفن النمس بنفس الطرىقة الءى ءءفن بها الكلاب. أما الءرزان والصقور فءنقل إلى مءىنة بوءو، وىنقل أبومنءل إلى مءىنة هرموبولىس، أما الءبىة وهى ناءرة، والءئاب وهى لا ءزىء عن ءءم الءعالب، فءءفن ءىءما ءوءء مىءة.

٦٨ وهءه هى ءبىعة ءماسىء: لا ءاكل شىءا فى أشهر الشءاء الأربعة. وءءمساح ءو أربع قوائم وىعىش فى الأرض والماء على السواء، وىضع بىضه وىقفسه على الشاطى وىمضى أكءر النهار على الأرض

الجافة ولكنه يمضى الليل كله فى النهر لأن الماء يكون حينئذ أسخن من الهواء والندى. وهو دون سائر ما نعرف من كائنات، ينمو من أصغر حجم إلى أكبره، لأن بيضه لا يزيد كثيرا عن حجم بيض الأوز، وحجم صغاره يتناسب مع حجم البيض، ولكنه يظل ينمو حتى يبلغ سبع عشرة ذراعا بل أكثر. وله عينا خنزير وأسنان ضخمة وأنياب تتناسب مع حجم جسمه. وهو وحده دون سائر الحيوانات لا ينمو له لسان، ولا يحرك فكه الأسفل، ولكنه وحده دون سائر الحيوانات كذلك يُطبق فكه الأعلى على الأسفل، وله مخالب قوية وجلد على الظهر مغطى بالفلوس لا ينفذ منه شىء. ومع أن التمساح أعشى فى الماء فهو حاد البصر جدا فى الهواء، وفمه من الداخل مملوء كله بالعلق لأنه يعيش فى الماء، وتتحاشاه الحيوانات كلها والطيور، إلا الزقزاق فإنه على وثام معه، فهو يستفيد منه؛ إذ حينما يخرج التمساح من الماء إلى الأرض يفغر فاه (هو يفعل ذلك عادة فى مهب الرياح الغربية)، فحينئذ يدخل الزقزاق فى فمه ويلتقط العلق. ويُسر التمساح لهذه الخدمة ولا يؤذى الزقزاق.

٦٩ والتماسيح مقدسة عند بعض المصريين، ولكنها عند البعض الآخر غير مقدسة بل يتخذونها أعداء. والذين يعيشون حول طيبة وبحيرة مويريس يعتبرونها مقدسة جدا. وتربى كل من هاتين الفئتين تمساحا واحدا من بينها كلها، وبعد أن يدربونه ليصير مستأنسا، يضعون أقراطا من الحجر المذاب^(١) والذهب فى أذنيه، وأساور حول

(١) لعل الحجر المذاب نوع من الزجاج أو الخزف المصقول ولا تزال ثقوب الأقراط ترى فى أذان هياكل التماسيح المحنطة.

قائمته الأماميتين، ويقدمون له غذاء خاصاً وأضحيات ويعاملونه أحسن معاملة في حياته فإذا مات يحنطونه ويدفنونه في مقابر مقدسة. أما الذين يعيشون حول مدينة الفنتين فلا يعتبرونها مقدسة حتى إنهم ليأكلونها. والمصريون لا يسمونها عظايات بل خامبسى (تماسيح) فالأيونيون هم الذين أطلقوا عليها اسم عظايات بمقارنة هيئتها بهيئة العظايات التي توجد على الحيطان عندهم.

٧٥ وهناك طرق كثيرة مختلفة لصيدها، وإنى لأذكر الطريقة التي تبدو لي أجدرها بالتسجيل. يضع الصياد حول الشص عجيزة خنزير ثم يلقي بالشص في وسط النهر، ويقف هو على شاطئ النهر ومعه خنزير صغير حتى يضره، وعندما يسمع التمساح صوت الخنزير يتجه صوب الصوت، فيلقى العجيزة ويبتلع الشص، ثم يجرونه إلى الشاطئ. وعندما يُجر إلى الشاطئ يكون أول ما يعمله الصياد هو أن يبلخ عينيه بالطين، فإذا فعل ذلك أتم عملية الصيد بغاية السهولة، وإذا لم يفعله تتم بصعوبة.

٧٦ وقرس النهر مقدس في إقليم بابريميس، ولكن سائر المصريين لا يقدسونه. وهذه هي سحنته الخاصة التي يطالعا بها: من نوات الأربع، له حافر مشقوق مثل ظلف الثور، مفرطح الأنف وله معرفة حسان وأنياب بارزة، له من الحصان ذيله وصوته، ويكون في حجم أكبر ثور، وجلده غليظ حتى إن قنا الرماح تصنع منه بعد تجفيفه.

٧٧ وتوجد كلاب الماء كذلك في النهر، وتعتبر مقدسة. ويعتبر مقدسا من الأسماك النوع الذى يسمى الشبوط وطحبان الماء، وهذان النوعان من الأسماك مقدسان - فيما يقولون - للنيل، وكذلك الشبق من الطير.

٧٣ وهناك طائر مقدس آخر يسمى الفونقس وإنى لم أره إلا مصورا، فإن زيارته للبلاد نادرة - كل خمسمائة عام فيما يقول أهل هليوبوليس. وهو يزورهم - فيما يقولون - عندما يموت والده، فإذا كان يشبه الرسم فوصفه كما يأتي: ريش جناحيه بعضه ذهبي وبعضه أحمر، وهو شديد الشبه بالنسر في منظره وحجمه. وهم يقولون - وقولهم هذا لا يبدو لي جديرا بالتصديق - إن هذا الطائر يدبر الحيلة الآتية: يغطى والده بطبقة من المر، وينطلق من بلاد العرب حاملا والده إلى معبد الشمس ويدفنه هناك. وإنه يحمله على النحو الآتى: يصنع بيضة من المر كبيرة بقدر ما يستطيع حمله. ثم يجرب أن يحملها. وبعد أن يجرب ذلك تماما، يجوف البيضة ويضع والده فيها بحيث يكون ثقل البيضة والوالد داخلها بعد تجويفها مثل ثقلها وهي كلها من المر المصمت. وبعد أن يغطى والده هكذا يحمله إلى معبد الشمس في مصر. ذلك ما يفعله هذا الطير فيما يقولون.

٧٤ وتوجد حول طيبة حيات مقدسة غير مؤذية للإنسان على الإطلاق، وهي صغيرة الحجم جدا، ولها قرنان نابتان فى مقدم الرأس. وهم يدفنونها بعد موتها فى معبد زيوس، لأنها - فيما يقولون - مقدسة لهذا الإله.

٧٥ وفى بلاد العرب مكان يقع تجاه مدينة بوطو تقريبا، وقد زرته أثناء بحثى عن الحيات المجنحة. فلما وصلت رأيت عظام حيات وأعمدتها الفقرية بكثرة تفوق الوصف، فقد كانت هناك أكوام من الأعمدة الفقرية بعضها كبير، وبعضها أصغر منها، وبعضها أصغر من هذه أيضا.

وكانت هذه الأكوام كثيرة. وهذا هو وصف هذا المكان الذى تنتشر فيه هذه الأعمدة الفخرية: ممر ضيق فى الجبل ينفرج عن سهل فيصح يتأخم سهل مصر. وتذهب الرواية إلى أن الحيات المجنحة تطير فى الربيع من بلاد العرب صوب مصر، ولكن الطائر أبا منجل لا يدعها فى طريقها بل يببدها. ويقول الأعراب إنه من أجل هذه الخدمة يقدر أبو منجل عند المصريين تقديسا عظيما. ويوافق المصريون على أنهم يقدرسون هذه الطيور من أجل هذه الخدمات.

٧٦ وهذه هى هيئة أبى منجل: أسود حالك السواد كله، وله رجلا غراب ومنقار شديد التقوس وهو فى حجم الكركى. تلك إذن هيئة أبى منجل الأسود الذى يصارع الحيات. وهذا وصف أبى منجل الذى يروح ويغدو بين الناس فى الأغلب الأعم: أصلع الرأس والرقبة كلها، وأبيض الريش فيما عدا الرأس والرقبة وأطراف الجناحين وطرف الذيل. فكل هذه الأجزاء التى ذكرتها حالكة السواد. وهو يشبه النوع الآخر فى منقاره ورجليه. وتشبه الحيات المجنحة حيات الماء فى الشكل، فأجنحتها ليست ذات ريش بل تشبه على وجه التقريب أجنحة الخفافيش. ولنكتف الآن بما قلنا فى الحيوانات المقدسة.

٧٧ أما عن المصريين أنفسهم فأولئك الذين يعيشون على الأرض المزروعة، أفاقه من زرت للتحرى من الناس طرا بكثير، وذلك لعنايتهم بتثقيف ذاكرتهم. وهم ينتهجون هذا الضرب من الحياة: يطهرون جوفهم بالقبوء والحقن الشرجية ثلاثة أيام سويا كل شهر سعيا وراء الصحة،

معتقدين أن كل الأمراض تصيب الناس من الأكل الذى يتغذون به. وهم - حتى بغير هذا - أصح الناس قاطبة خلا الليبيين، وهذا يرجع فيما أظن إلى الجو فهو غير متغير. فالأمراض تصيب الناس غالبا من التغيير أيا كان وخصوصا تغيير الطقس. وهم يعيشون على الخبز الذى يصنعونه من القمح الوحيد الحبة ويسمون «كيلليستيس». ويتعاطون خمرا مستخرجة من الشعير إذ لا يوجد فى بلادهم كروم. أما السمك فيجففون بعضه فى الشمس ويأكلونه نيئا، ويحفظون البعض الآخر فى الملح. أما ما يجدونه عندهم فيما عدا ذلك من الطيور والأسماك - إلا ما يعتبرونه مقدسا - فيأكلونه إما مشويا أو مطبوخا.

٧٨ وفى ولائم أغنيائهم، عندما يفرغون من طعامهم، يطوف بهم رجل يحمل جثة فى نعش. أما الجثة فمتخذة من الخشب، وبصورة ومنقوشة وشديدة الشبه بجثة حقيقية وحجمها حوالى ذراع أو ذراعين على وجه الإجمال. ويقول الرجل كلما أراها إلى أحد الحاضرين «اشرب وإله وأنت تنظر إلى هذه، فستصير مثل هذه بعد موتك». هذا إذن ما يفعلونه فى ولائهم.

٧٩ ويتمسك المصريون بتقاليد آبائهم ولا يضيفون إليها تقليدا واحدا جديدا. ومن بين تقاليدهم المختلفة التى تستحق الذكر نشيد هو «نشيد لينوس»^(١). وهو ينشد فى فينيقية وقبرص وغيرها من البلدان، وله أسماء متغايرة عند الشعوب المختلفة. والإجماع على أنه هو نفس النشيد الذى ينشده اليونانيون باسم «لينوس». وإن أشد ما يثير العجب فى مصر من بين ما نعجب له فيها من أشياء كثيرة، المصدر الذى اشتقوا منه اسم

(١) نشيد ينعون فيه الصيف إذا انقضى. وكان المستمعون يرددون فى الدور قول «الويل لنا، وهو فى اللغات السامية «أى لينو» وهذه حرفت فأصبحت فى اليونانية أيلينوس ثم لينوس.

لينوس، فهم يتغنون به دائما من قديم الزمان. «ولينوس» يسمى في اللغة المصرية «مانيروس»^(١). ولقد قال لي المصريون إنه كان الخلف الوحيد لأول ملك لمصر، ولما مات قبل أوانه كرمه المصريون بهذا النشيد، وأن هذا كان النشيد الأول والوحيد عندهم.

ويشبهه المصريون اللاقيديمونيين وحدثهم دون اليونانيين في وجه آخر. إذا قابل الصغار منهم الكبار أفسحوا لهم الطريق وتحنوا جانباً. وإذا أقبل عليهم الكبار قاموا من مقاعدهم. ولكنهم لا يشبهون شعباً واحداً من اليونانيين في عادة أخرى، هي أنهم بدلاً من أن يحيوا بعضهم بعضاً في الطرقات، ينحتون خافضين أيديهم إلى الركبة.

وهم يلبسون قمصانا من التيل مموجة عند القدمين يسمونها «كالاسيريس»، ويلبسون فوقها أردية من الصوف الأبيض تسدل على الكتف، ولا يحمل أحد منهم رداء صوفياً إلى المعابد، ولا يدفن به، فذلك غير مباح. وهم يتفقون في هذه الطقوس مع الطقوس التي يسمونها أورفية^(٢). وباخوسية وهي في الحقيقة مصرية وفيثاغورية^(٣)، فلا يباح لواحد ممن يدخلون هذه النحل أن يدفن وعليه أردية صوفية. وتروى قصة دينية في هذه المسائل.

(١) لعلها من الكلمة المصرية «ما - ن - هرا» أي «جئنا ثانية».

(٢) سميت أورفية نسبة إلى أورفيوس الشاعر الكاهن القديم. وقد سادت هذه العقائد بلاد اليونان في القرن السادس قبل الميلاد. وكانت قائمة على الشعور بالخطيئة والحاجة إلى المغفرة والإيمان بخلود الروح.

(٣) نسبة إلى فيثاغورس وهو فيلسوف يوناني ولد في جزيرة ساموس حوالي سنة ٥٧٠ ق.م. وكان يؤمن بتناسخ الأرواح.

٨٢ ويرجع الوقوف على المعلومات الآتية إلى المصريين أيضا، وهي باسم أى الآلهة يسمى كل شهر وكل يوم، وأى الحظوظ سيلاقي كل من يولد فى يوم كذا أو كذا، وعلى أى نحو سيقضى نحبه، وأى رجل سيكون.

ولقد استغل اليونانيون الذين يتعاطون الشعر هذه المعلومات. وقد عُرف من علامات الغيب عند المصريين أكثر مما عرف عند سائر الشعوب كافة. وذلك بأنه كلما تبدت علامة راقبوا نتيجتها ودونها، فإذا تبدى ما يشابهها بعدئذ مرة أخرى، حسبوا أن نتيجته ستكون مثل نتيجته الأولى.

٨٣ وهذا هو حال الإخبار بالغيب عندهم: لا يعزى هذا الفن إلى أحد من الناس، بل يعزى إلى بعض الآلهة. فعندهم هاتف لهرقل وأبلو وآثينة وأرتميس وأريس وزيوس، ويوجد هاتف لليطو فى مدينة بوطو، وهم يولون هذا من التقديس أكثر مما يولون سائر الهواتف. وطرق الإخبار بالغيب عندهم ليست واحدة بل مختلفة.

٨٤ والتطبيب عندهم مقسم إلى الفروع التالية، إذ كل طبيب يختص بداء واحد لا أكثر، وكل البلدان عندهم غاصة بالأطباء، لأن بعض الأطباء مختصون بالعيون، وبعضهم بالرؤوس، وبعضهم بالأسنان، وبعضهم بالأمعاء وبعضهم بالأمراض المجهولة.

٨٥ وهذه هى أساليب الحداد والدفن عندهم: إذا مات رجل وكان ذا اعتبار وقد فارق بيته، لَطَخ نساء هذا البيت كلهن رؤوسهن

أو وجوههن بالطين ثم يتركن الجثة في البيت ويطفن بالمدينة لاطمات خدودهن ورافعات ذبولهن وكاشفات عن صدورهن ومعهن كل قريباتهن. أما الرجال فيمكثون حيث هم، ويلطمون خدودهم، ويرفعون أرديتهم. وعندما يفرغون من ذلك يأخذون الجثة لتحنط.

وهناك قوم يتخصصون في التحنيط ويتخذونه صناعتهم، وعندما تحمل الجثة إلى هؤلاء، يعرضون على الذين يأتون بها، نماذج لجثث متخذة من الخشب ومصورة بحيث تحاكي الحقيقة. وتعزى أحسن طرق التحنيط فيما يقولون لمن^(١) لا يصح أن أذكر اسمه في معرض الحديث في مثل هذا الموضوع. والطريقة الثانية التي يعرضون نماذج منها تقل عن هذه إتقانا ونفقة، والثالثة أرخصها. وبعد أن يخبرونهم بذلك يعرفون منهم بأى الطرق يريدون أن تهياً الجثة. وبعد أن يتفق أصحاب الجثة على الأجر يذهبون في سبيلهم، وبعد أن يخلفوا المحنطين في محلهم، ينصرف هؤلاء إلى عملية التحنيط على النحو التالي إذا كان التحنيط بأحسن الطرق: يستخرجون أولاً المخ من المنخارين بواسطة أداة حديدية معقوفة، يستخرجون بعضه بهذه الوسيلة والبعض الآخر يصب عقاقير فيه. وبعد ذلك يشق الكشح بحجر حبشى مسنون، ويخرجون الأحشاء كلها، وبعد أن ينظفوها ويغسلوها بخمر البلح، يغسلونها ثانية بالتوابل المجروشة، ثم يملأون الجوف بمر نقى مجروش وسليخة وسائر الطيب ماعدا البخور ثم يخيطنونها بالتالي، وبعد أن يقوموا بذلك يحنطون الجثة بتغطيتها بالنطرون سبعين يوماً، ولا يجوز أن تستمر عملية التحنيط (١) يعنى أوزيريس.

أكثر من ذلك، وعندما تنقضى السبعون يوما، يغسلون الجثة ويلفونها كلها بلفائف مقطوعة من الكتان الرقيق النسج، مدهونة بالصبغ الذي يستخدمه المصريون في أكثر الأحيان بدلا من الغراء، وبعد أن يتسلم أهل المتوفى الجثة يصنعون تمثالا من الخشب مجوفا على هيئة إنسان ويضعون فيه الجثة، وبعد أن يدخلوها فيه يحفظونها في غرفة للدفن ويجعلونها قائمة مسندة إلى الحائط.

على هذا النحو إذن يجهزون الجثث بأكثر الطرق نفقات. أما الجثث التي يطلب أصحابها الطريقة الوسطى ويهربون من النفقات، فيجهزونها على النحو التالي: يملأون حقنهم بزيت الصنوبر ويملأون به جوف الجثة، وهم لا يشجون الجثة، ولا يستخرجون الأحشاء، بل يدخلون الزيت من الشرج ويسدونه ليمنعوا الزيت من الانسياب خارجا مرة أخرى، وبعد ذلك يحنطون الجثة طوال الأيام المعينة. وأخيرا ينزلون من الجوف الزيت الذي كانوا قد أدخلوه من قبل. ولهذا الزيت قوة كبيرة حتى أنه ليحرف معه الأحشاء والمصارين وقد تحللت. وحيث أن النظرون يأكل اللحم فالذي يتبقى من الجثة هو الجلد والعظام فقط. وبعد أن يصنعوا ذلك يُرجعون الجثة إلى أصحابها ولا يعنون بها بعد ذلك.

وهذه هي طريقة التحنيط الثالثة، وهي المستعملة في تجهيز جثث رقيقى الحال: يغسلون الجوف بماء الفجل ثم يحنطون الجثة سبعين يوما، وبعد ذلك مباشرة يسلمونها لأهل المتوفى ليذهبوا بها.

٨٩ أما زوجات مشاهير الرجال، والنساء الفائقات الجمال البعيدات الصيت، فلا يسلمن بعد موتهن مباشرة ليحنطن. فهم لا يسلموهن للمحنطين إلا بعد انقضاء ثلاثة أيام أو أربعة أيام على موتهن، وهم يسلكون هذا المسلك ليمنعوا المحنطين من التمثيل بالجثث، ذلك أن أحدهم قد قبض عليه فيما يقولون متلبسا بمواقعة جثة امرأة حديثة الموت، وقد أبلغ عنه زميل له في العمل.

٩٥ وإذا وجد أحد من المصريين أو الأجانب - وهم في ذلك سواء - ميتا وقد اغتاله تمساح أو أغرقه النهر نفسه، فعلى أهل البلدة التي جرف عندها أن يحنطوه ويجهزوا الجثة على أحسن وجه، ويدفنوه في مقبرة مقدسة. ولا يسمح لأحد من أقرباء المتوفى أو من أصدقائه بلمسه بل يسمح بذلك لكهنة النيل أنفسهم فحسب، فهم الذين يتناولون الجثة ويدفنونها بأيديهم لأنهم يعتبرونها شيئا أعظم من مجرد جثة إنسان.

٩٦ وهم يتحاشون اتخاذ العادات اليونانية، بل هم بوجه عام يتحاشون كل عادات سواهم من الناس على الإطلاق. وهكذا يحافظ سائر المصريين على هذا التقليد. ومع ذلك فتوجد مدينة عظيمة هي خميس في إقليم طيبة بالقرب من مدينة نيابوليس، ويوجد في هذه المدينة باسم برسيوس بن داناي، معبد مربع ينمو حوله النخيل. وبوابة هذا المعبد من الحجر، وهي كبيرة جدا يقوم فوقها تمثالان عظيمان من الحجر. ويوجد في هذه الساحة محراب يقوم فيه تمثال لبرسيوس، ويقول أهل خميس أنه كثيرا ما يتجلى لهم برسيوس في البلاد، وكثيرا ما يظهر داخل

المعبد، وأنهم كثيرا ما يجدون الخف الذى ينتعله، وطوله ذراعان، وأنه حينما تحدث ظاهرة التجلى هذه، تزدهر مصر كلها. هذه هى روايتهم. وهم يحيون الطقوس اليونانية من أجل برسسيوس فيعقدون مباريات رياضية تشتمل على جميع فنون المسابقات، ويقدمون جوائز - أغناما وأردية وجلودا. ولما سألت لماذا كان من عادة برسسيوس أن يتجلى لهم وحدهم ولماذا يقيمون المباريات الرياضية مخالفين بذلك سائر المصريين أجابوا بأن برسسيوس أصله من مدينتهم، وأن دناؤس ولينيكيوس^(١) اللذين أبحرا إلى بلاد اليونان كانا من أهل خميس، وذكروا الأنساب بادئين بهذين ووصلوا بها إلى برسسيوس، وقالوا: إن برسسيوس لما جاء إلى مصر للغرض الذى يقول به اليونانيون أيضا، أى لإحضار رأى جورجو^(٢) من ليبيا تعرف على أهله جميعا، وأنه كان على علم تام باسم خميس قبل أن يزور مصر، إذ إنه كان قد سمع به من أمه، وأنه قد أمرهم بإقامة المباريات الرياضية باسمه.

٩٧ ويرعى المصريون الذين يعيشون فيما وراء المستنقعات كل هذه التقاليد، ويرعى سكان المستنقعات التقاليد عينها، التى يراها سائر المصريين من جميع الوجوه، ومن حيث أن كل واحد منهم يتخذ زوجة واحدة مثل اليونانيين تماما، ولكنهم توفيرا للحبوب اكتشفوا الطريقة الآتية: عندما يحدث الفيضان ويغمر النيل السهل، ينبت السوسن

(١) تذهب الأساطير إلى أن لينكيوس ابن شقيقة دناؤس، وأن حفيدته دنانى هى أم برسسيوس.

(٢) يعنى ميدوسيا وقد كانت جدائل شعرها حيات مرعبة تحيل كل من ينظر إليها صخرا

وقد استطاع برسسيوس بوساطة مرأة أن يقتلها وأن يحمل رأسها إلى مصر.

فى الماء بكثرة؁ وبسمله المصرىون البشنىن وهم لجمعون هذا ولجففونه فى الشمس ولطحنون ما يكون فى وسط البشنىن من حب؁ وهو يشبه الخشخاش ولصنعون منه أرغفة تخبز على النار؁ وجر البشنىن صالح للأكل هو الآخر؁ وهو لذىذ الطعم نوعا؁ مستدر الشكل؁ فى حجم التفاحة. وهناك أنواع أخرى من السوسن تشبه الورد. وهى مثل البشنىن؁ تنبت فى النهر. وتنمو ثمرته من جر فى كأس على ساق منفرد؁ وهو يشبه فى شكله خلية النحل. وتوجد فى هذه الكأس حبات كثيرة صالحة للأكل. وهى فى حجم نوى الزىتون؁ تؤكل طازجة وجافة. أما البردى الذى ينبت سنويا فىقتلونه من المستنقعات؁ ولقطنون الجزء الأعلى منه ولحولونه إلى أغراض مختلفة. أما الجزء الأسفل المتخلف؁ وطوله ذراع تقريبا فىأكلونه ولببعونه. أما شدىو الرغبة فى تناول البردى أحدى ما يكون فىأكلونه بعد طبخه فى فرن فخارية محمية؁ ولبعش بعض هؤلاء القوم على الأسماك فحسب؁ وهم حىن لصدونها لستخرجون أحشاءها ولجففونها فى الشمس ثم لأكلونها جافة.

٩٣ ولوجد فى النهر قلىل من سمك الأسراب؁ وهذه تسلك بعد أن تترعرع فى البحىرات السلوك التالى: فعندما تجتاحها شهوة التلقح تسبح إلى البحر فى سرب؁ ولقود الذكور السرب وتنثر اللقاح فتلتقطه الإناث التى تتبع الذكور وتحبل به. وحنىما تحمل فى البحر تقفل راجعة من توها كل واحدة إلى مكمنها؁ ولكن الذكور لا تعود بعدُ قائدة للسرب بل إن الإناث تكون فى الطلىعة. وحنىما تكون الإناث فى مقدمة السرب؁ تصنع كما كانت الذكور تصنع تماما. فهى تنثر ببضها شىئا

فشيئاً المواحدة منه فى ءم ءبة الذرة؁ فءبءلعلها الذكور الءى ءءبعها؁ وهءه الءبء الءى الءسماك. فمن الءبء الءى ءهمل ولا ءبءلعل ءكون الءسماك الءى ءنمو. وءرى الءسماك الءى ءسبء فى رءلءها ءحو البءر وقد ءهشم الءانب الءيسر من رأسها. فى ءىن أن ءلك الءى ءسبء راءعة ءرى وقد ءهشم الءانب الءيمن منها. وهى ءءعرض لهذا الءذى للسبب ءالى: فى ءرلءها إلى البءر ءلزم الءانب الشء الذى إلى اللىسار؁ وفى أثناء رءوعها ءانىة ءلزم نفس الءانب مءقربة منه وءافة به إلى أءصى ءء؁ وذلك لءلا ءءطى الءرلء من ءراء الءيار. وءىنما ببءأ الءىل فى الفلضان ءكون الفءواء الءى فى الأرض والبرك الءى بالبرب من الءهر أول ما ببءأ فى الءمءلاء بالماء؁ وذلك لءسرب الماء من الءهر إليها. وبمءرء امءلائها بالماء ءصء ءلها فى الءو ءاصة بالءسماك الصءيرة. وىءل إلى أننى أفهم لماذا كان من الءبلىعى أن لءءء ذلك. فعءءما هبء الءىل فى السنة السابئة ءرءء الءسماك ببضها فى الءلن وقفلء راءعة مع آءر ما انءسر من الماء. وعءءما ءنقضى الفءرة المعلومة وىرءع الماء ءانىة؁ ءنءء هءه الءسماك على الفور من هءا الببض. ولنءءف الآن بهذا الءءر من الءءلء فى الءسماك.

٩٤ والمصريون الءىن لعلشون ءول المسءنءعات لءءءون زلءا من ءمار نبات الءروع ولسمىه المصريون «ءىكى» وهم لىءءرءونه بالءرلءة الآءية: ببءرون هءا الءروع على ءوافى الأنهار والبءلراء. (لنمو نوع برى منه من ءلقاء نفسه فى بلاد اللىونان). والذى ببءر فى مصر لءمل ءمارا ءءلرة ولكنها ءرلءة الراءءة؁ وبعء أن لءمءوا هءه الءمار؁ لءؤها

البعوض ويعصرها، أما البعوض الآخر فيحمصونها ويغلقونها ويجمعون ما يقطر منها. وهذا السائل يكون لزجا ولا يقل صلاحية عن زيت الزيتون للمصباح، إلا أن له رائحة كريهة.

٩٥ ولقد لجأوا إلى الحيلة الآتية ضد البعوض وهو كثير عندهم: فأما الذين يسكنون فيما وراء المستنقعات فيستغنون بأبراجهم إذا تسنموا وناموا فيها، لأن البعوض لا يستطيع أن يحلق إلى هذا الارتفاع تحت ضغط الرياح. وأما الذين يسكنون حول المستنقعات فقد لجأوا إلى حيلة أخرى عوضا عن الأبراج. يزود كل واحد منهم بشبكة يصيد بها السمك أثناء النهار أما بالليل فيستخدمها على النحو الآتي: يبسط الشبكة حول السرير الذي ينام عليه، ثم يتسلل داخلها وينام تحتها. أما إذا لف نفسه في رداء أو ملاءة من الكتان ونام عضه البعوض من خلال الغطاء، مع أن البعوض لا يقرب الشبكة البتة.

٩٦ وتصنع سفنهم التي تحمل البضائع من شجر اللبخ وهو قريب الشبه في شكله بالبنين القورينائي، وهو ينضح الصمغ. وبعد أن يقطعوا الأخشاب من هذا اللبخ ألواحا طول الواحد منها ذراعان، يصفقونه كما يصفقون اللبن، ويصنعون منه السفينة على النحو الآتي: يعشّقون الألواح التي طول الواحد منها ذراعان حول أوتاد طويلة متلاصقة. وبعد أن يبنوا هيكل السفينة على هذا النحو يمدون عوارض على أعاليها. وهم لا يستخدمون الضلوع بل يسدون الفواصل التي بالداخل بالبردى. ويصنعون دفة واحدة تدفع في قاع السفينة. ويتخذون السارى من اللبخ

والشراع من البردى. ولا تستطيع هذه السفينة أن تسير ضد التيار إذا لم تواتها ريح شديدة، بل تجر حينئذ من الشاطئ. وهى تسير مع التيار على النحو الآتى: يوجد إطار مصنوع من الأتل وقد حُشى بقصب مجدول، وحجرٌ مخروطى طالنتان تقريبا. يطلق السفان الإطار وقد ربط بحبل ليطفو أمام السفينة، ويلقى بالحجر وراءها وقد ربط بحبل آخر. ويدفع التيار الإطار فيتحرك بسرعة ويجر «الباريس» (هذا هو اسم هذه السفينة). أما الحجر فيجر وراءها، وحيث إنه فى قعر النهر، فهو يضبط سير السفينة فى طريقها. وعندهم من هذه السفن أعدادٌ غفيرة، ويحمل بعضها آلافا عديدة من الطالنتات.

❧ وحينما يغمر النيل البلاد، تبدو المدن وحدها فوق الماء وتكون شبيهة بعض الشيء بالجزائر التى فى بحر إيجة، ويصبح سائر أجزاء مصر بحرا، وتكون المدن وحدها فوق الماء. وحينما يحدث هذا لا يلتزم المصريون مجرى النهر، بل ينتقلون فى مراكبهم فى وسط السهل، فإذا صعدت فى النهر من مدينة نوقراطيس إلى منف يكون سيرك بجانب الأهرام نفسها. وليس هذا هو الطريق العادى، بل الطريق العادى يسير بجوار رأس الدلتا وبجوار مدينة كركاسوروس. وإذا أبحرت من البحر فالفرع الكانوبى إلى مدينة نوقراطيس عبر السهل، وصلت إليها مارا بمدينة أنثيلا والمدينة التى تسمى - نسبة إلى أرخاندروس - «مدينة أرخاندروس».

❧ أما أنثيلا فمدينة ذات شأن وقد عزلت وأعطيت لزوج من يكون جالسا على عرش مصر لمشتري أحذيتها. ولقد ساد هذا التقليد

منذ العصر الذى خضعت فيه مصر لفارس. أما المدينة الثانية فيخيل إلى أنها أخذ اسمها من ختن دناؤس وهو أرخاندروس بن فيثيوس بن أخيوس. إذ أنها تسمى مدينة «أرخاندروس». ولعله قد كان هناك رجل آخر يسمى أرخاندروس، ولكن الاسم على أية حال ليس مصرياً.

٩٩ لقد ذكرت إلى الآن مشاهداتي الخاصة وآرائى وأبحاثى ولكنى أبدأ من الآن بذكر الروايات المصرية كما سمعتها وسأضيف إليها شيئاً من مشاهداتي الخاصة كذلك.

أخبرنى الكهنة أن مينا كان أول من تولى ملك مصر وإنه هو الذى أوجد موقع منف بتحويل مجرى النهر، فقد كان النهر كله يجرى ناحية الهضبة الرملية فى الجانب الليبى. ولكن مينا - بادئا من أعلى - كَوْن بوساطة السدود الحنية التى تقع إلى الجنوب من منف بمقدار مائة ستاد، وهكذا جفف المجرى القديم. هذا فى حين أنه احتقر مجرى جديدا للنهر حتى ينساب فى طريق وسط بين الهضبتين. (ولا تزال حنية النيل هذه التى تكونت بتحديد مجراه بالسدود باقية إلى الآن، ولا يزال الفرس إلى الآن يوالون حنية النيل هذه التى تكونت بتحديد مجراه بالجسور بالعناية الفائقة. ولا يزالون يدعمون جوانبها كل عام، لأنه إذا اجتاح النهر الجسور فى هذه المنطقة، لأصبحت منف كلها فى خطر من الغرق.) وبعد أن تهيأت لمينا وهو أول ملك للبلاد هذه الرقعة التى جفت بعد حبس الماء عنها، أنشأ فيها تلك المدينة التى تدعى الآن منف (ذلك أن منف ليست فى الدلتا بل فى وادى النيل). وحفر - بادئا من

النهر - بحيرة خارج المدينة متجهة إلى الشمال والغرب، (النيل نفسه يحدّها من ناحية الشرق)، ثم أقام في المدينة معبد هيغياستوس وهو ضخم وجدير بالذكر.

١٣٥ ولقد قرأ لى الكهنة من درج بردى أسماء ثلثمائة وثلاثين ملكا آخرين بعد مينا. وكان بين كل هذه الأجيال من الرجال، ثمانية عشر ملكا من الأحباش وامرأة واحدة من أهل البلاد، أما سائر الملوك فكانوا مصريين. أما اسم المرأة التى كانت ملكة فكان مثل اسم الملكة البابلية تماما: نيتوكريس. وقالوا لى إنها أهلكت الكثيرين من المصريين بخدعة لتتأثر لأخيها الذى كان ملكا على المصريين وقتلوه وولوها الملكة بعد أن وقتلوه. فقد ابتنت بهوا رحيبا تحت الأرض، وأعلنت قائلة إنها تفتتحه ولكنها فى السر كانت تدبر أمرا آخر. دعت إلى وليمة جمعا غفيرا من المصريين ممن كانت تعلم أن لهم على الخصوص يدا فى الجريمة، وأطلقت عليهم أثناء تناولهم الطعام ماء النهر من أنبوبة واسعة خفية. هذا هو كل ما قالوه لى عن هذه الملكة، فيما عدا أنها عندما أتمت الجريمة قذفت بنفسها فى غرفة مليئة بالرماد حتى تُعفى من العقاب.

١٣٦ ولم يذكروا لى عملا من الأعمال المجيدة قام به واحد من الملوك الآخرين، أو أن أحدهم كان ذا نصيب من الشهرة إلا آخرهم وهو مويريس، فقد خلف هذا بمثابة تذكار لحكمه بهو معبد هيغا يستوس الذى يتجه إلى الشمال. واحتفر بحيرة سابين طول محيطها مقيسا بالاستاد فيما بعد، وابتنى فيها أهراما سأذكر أبعادها فى معرض

الحديث عن البحيرة نفسها. هذه هي الآثار التي خلفها هذا الملك ولم يخلف واحد من الآخرين شيئا.

١٥٢ وإنى سأضرب صفحا عن هؤلاء، وسأتى على ذكر الملك الذى تلاهم واسمه سيسو ستريس^(١). قال الكهنة إنه أولا أقلع بسفن حربية من الخليج العربى وهزم القوم الذين يسكنون على سواحل البحر الأحمر، وأنه واصل إبحاره قدما إلى أن وصل إلى منطقة فى البحر لم يعد البحر يصلح فيها للملاحة لضحولته. وبعد ذلك رجع ثانية إلى مصر. وحشد بحسب رواية الكهنة جيشا كبيرا وقاده مخترقا القارة، وهزم كل الشعوب التى كانت فى طريقه وكلما قابل منهم قوما شجعانا يتشبثون بصرامة بحريتهم أقام فى بلادهم أعمدة عليها نقوش تبين اسمه ووطنه وكيف أنه هزمهم بقوته. أما إذا لم تقاوم المدن وأخذت بسهولة، كتب على الأعمدة التى يقيمها عندهم بنفس الأسلوب الذى اصطنعه فى حالة الشجعان وأضاف إلى النقش عورة امرأة، يريد أن يبين بذلك أنهم كانوا جبنا.

١٥٣ وعلى هذا النحو عبر القارة وجاوز آسيا إلى أوروبا وهزم السكيثيين^(٢) والتراقيين. وهذه الجهات كانت فيما أعتقد أقصى ما وصل إليه الجيش المصرى، فمع أن الأعمدة ترى قائمة فى بلاد هذه (١) هو سنموسرت الثالث من فراعة الأسرة الثانية عشر (١٨٦٠ ق. م تقريبا) وقد تضحمت شخصيته فى مخيلة الشعب فعزا إليه كثيرا من أعمال الفراعة الآخرين.

(٢) هم قبائل متعددة فى جنوب روسيا، وليس من المحقق أنهم آريون أم مغوليون ولقد اندثر هذا الجنس كله الذى ذكر كثيرا فى التاريخ القديم، دون أن يترك أثرا واحدا فى تاريخ الحضارة الإنسانية.

الأقوام فإنها لا ترى أبعد من ذلك. وبعد ذلك تحوّل وقفل راجعا. ولا يمكننى أن أقرر على وجه الدقة ماذا حدث بعد ذلك عندما وصل إلى نهر فاسيس، هل فصل الملك سيسوستريس جزءا من جنده وتركهم ليستوطنوا تلك البلاد، أم أن طائفة من الجند أنهكتها الرحلة فتخلفت بالقرب من نهر فاسيس؟

١٠٤ ذلك أنه من الجلى أن الكولخييين مصريون. وإنى قد فطنت إلى الرأى الذى أذهب إليه الآن بنفسى قبل أن أسمعه من الآخرين. ولما خطر هذا الرأى فى بالى استجوبت كلا الشعبين وعلمت أن الكولخييين يذكرون المصريين أكثر مما يذكر المصريون الكولخييين، هذا مع أن المصريين يرون أن الكولخييين كانوا جزءا من جيش سيسوستريس. ولقد خمنت أن الأمر كذلك لا لأن الكولخييين سُمر البشرة وجعاد الشعر فحسب، فذلك لا يهدينا إلى شىء، لأن غيرهم من الناس على هذا الوصف أيضا، ولكن لحجة أعظم، وهى أن الكولخييين وحدهم مع الأحباش والمصريين دون سائر البشر مارسوا عادة الختان منذ البدء. فالفينيقيون والسوريون فى فلسطين يقررون هم أنفسهم أنهم عرفوا هذه العادة من المصريين، هذا فى حين أن السوريين الذين يعيشون حول نهري ثرمودون وبارثينيوس، والماركرونيين^(١) الذين يجاورونهم يقررون أنهم تعلموا هذه العادة حديثا عن الكولخييين، وهؤلاء وحدهم هم الذين يختنون. والظاهر أنهم يمارسون هذه العادة وفقا لسنة المصريين. أما عن الأحباش والمصريين، فلا يمكننى أن أقرر أيهما أخذ العادة عن

(١) هم قبيلة فى الجنوب الشرقى من البحر الأسود بالقرب من طرابزون.

الآخر، فمن الجلى أنها عادة قديمة جدا. أما أن الشعوب الأخرى قد تعلمت هذه العادة باتصالها بمصر، فلدى عليه دليل قاطع وهو أن الذين يتصلون باليونانيين من الفينيقيين لا يقلدون المصريين بل يتركون أولادهم بلا ختان.

١٥٥ دعنى الآن أتحدث إليك بعادة أخرى يشبهون فيها المصريين، فهم المصريون فقط يصنعون التيل وذلك بطريقة واحدة بعينها. وهم يتشابهون في أسلوب حياتهم كله وفي لغتهم. ويسمى اليونانيون التيل الكولخي^(١) التيل الساردينى أما التيل الذى يأتيهم من مصر فيسمونه التيل المصرى.

١٥٦ وبالرغم من أن أكثر ما أقامه الملك سيسوستريس من أعمدة فى الأقطار لم تعد قائمة بعد، فقد رأيت بنفسى فى فلسطين أعمدة قائمة عليها النقوش التى ذكرتها وكذا عورة المرأة. ويوجد فى أيونيا تمثالان^(٢) لهذا البطل منحوتان فى الصخر أحدهما فى الطريق المؤدية من أفسوس إلى فوكايا والآخر فى الطريق المؤدية من سارديس إلى سميرنا، والتتمثال المحفور فى كلا الحالين لرجل ضخم طوله أربع أذرع ونصف ممسكا بحربة فى يده اليمنى ويقوس فى يده اليسرى، وسائر عدته على هذا النحو، فهى مصرية وحبشية. ويمتد بعرض الصدر من كتف إلى كتف نقش محفور باللغة المصرية المقدسة يقول «لقد فتحت هذا البلد بقوة كتفى». وهو لم يبين هنا من أى بلد جاء فقد أوضح ذلك فى موضع آخر.

(١) الكولخيون قبيلة كبيرة كبيرة كان موطنها الشاطئ الشرقى من البحر الأسود.

(٢) كشفت الحفائر عن التمثالين فى كرابل ولكنهما ليسا صناعة مصرية، بل من صناعة الحيثيين.

ويظن بعض من رأوهما أن التمثال لثمنون^(١) ولكنهم يحددون في ذلك عن الحق كثيرا.

١٥٧ ولما كان سيسوستريس المصري هذا راجعا وقد أحضر رجالا كثيرين من الشعوب التي كان قد غزا أراضيها، حدث فيما قال الكهنة إنه عندما حط رحاله في دافناى البيلوزية أن دعاه أخوه - وقد كان سيسوستريس قد عهد إليه في أمر مصر - إلى وليمة ودعا معه أولاده، ووضع حطبا حول البيت، وبعد أن وضع الحطب أشعل فيه النار. فلما علم سيسوستريس بهذا الأمر شاور امرأته على الفور، إذ إنه كان قد أحضر امرأته معه أيضا. فأشارت هي عليه بأن يضع ولدين من أولاده الستة على النار فيكونا بمثابة قنطرة فوق الحطب المشتعل، حتى ينجوا هم بالمرور فوقهما. وقد فعل سيسوستريس هذا، واحترق اثنان من أبنائه على هذا النحو أما الباقيون فقد نجوا مع أبيهم^(٢).

١٥٨ وبعد أن رجع سيسوستريس إلى مصر وثأر من أخيه استخدم الجمع الغفير الذى أحضره معه وكان قد أخضع بلادهم فيما يلى: فهم الذين جروا الحجارة التى نقلت فى عهد هذا الملك إلى معبد هيفايستوس وقد كانت بالغة الحجم، وهم الذين حفروا مسخرين جميع القنوات التى توجد الآن فى مصر. وهكذا جعلوا - بغير رضاهم - من مصر التى كانت

(١) هو ابن إيوس إلهة الفجر وملك الحبشة وقد خلط اليونانيون بينه وبين أمينوفيس الثالث أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة. وفسروا الأنعام التى يطلقها التمثال فى الفجر بأنها تحية ممنون لأمه إلهة الفجر.

(٢) ليس للقصة أساس من الصحة على التحقيق، ولكن مصدرها على الأرجح هو صورة الفرعون المنتصر، إذ كان يرسم وقد وطأ بقدميه رجلين يمثلان أعداءه السوريين والنوبيين.

من قبل بلادا تقطعها الخيول والعجلات بلاد خالية منها. فمنذ ذلك الوقت أصبحت مصر كلها - بالرغم من أنها بلادا مسطحة - خالية من الخيل والعجلات. والسبب في ذلك هي القنوات فهي كثيرة ذاهبة في جميع الجهات. ولقد شق هذا الملك الترع في البلاد لأن المصريين الذين كانوا يقطنون مناطق لا تقع على النهر بل تقع في داخلية البلاد، كانوا كلما انحسر النهر فأعوزتهم المياه يتعاطون ماء صالحا بعض الشيء، يستنبطونه من الآبار. لهذا السبب إذن شُقَّت الترع في مصر.

١٠٩ وقال الكهنة إن هذا الملك قد قسم البلاد بين جميع المصريين فأعطى لكل فرد مساحة مربعة متساوية، وأنه قد حصل على دخله من هذا المصدر لأنه أمرهم بأداء الضريبة سنويا. فإذا أكل النهر جزءا من المساحة المقررة لأحد الناس، ذهب من فوره إلى الملك، وبين له ما حدث، وكان الملك يرسل رجالا يعاينون الأرض، ويقيسون المقدار الذي نقص منها. حتى يدفع من الضريبة المقررة ما يتكافأ مع الباقي من الأرض. ويخيل إلى أن هذا أصل اكتشاف علم المساحة، وأنه انتقل من مصر إلى بلاد اليونان. أما الساعة الشمسية والمزولة وتقسيم النهار إلى اثني عشر قسما فأشياء تعلمها اليونانيون عن البابليين.

١١٥ وهذا الملك هو الملك المصري الوحيد الذي حكم الحبشة وقد خلف تذكارا لعهد التماثيل الحجرية القائمة أمام معبد هيفايستوس. وهي مؤلفة من تماثيل لنفسه ولزوجه طول كل منهما ثلاثون ذراعا^(١)،

(١) وجد تماثلان بهذا الوصف في معبد بتاح في ميت رهينة، طول أحدهما ١٣ مترا ولعل هذا هو التمثال الذي رآه هيرودوت وقرر أن طوله ثلاثون ذراعا أي ١٥ مترا تقريبا.

وءماءيل لأبئائه الأربعة طول كل منها عشرون ذراعاً ولم يسمح كاهن هيفايستوس بعد ذلك بأمد طويل لدارا الفارسى أن يقم تمثاله أمامها محتجاً بأن دارا لم يقم بأعمال جليلة مثل ما قام به سيسوسريس المصرى. فمع أن سيسوسريس قد قهر شعوباً لا تقل عما قهر دارا، فإنه إلى جانب ذلك، قد قهر الاسكثيين فى حين أن دارا لم يستطع أن يقهرهم. فلم يكن إذن من العدل أن يقام تمثاله أمام تمثال سيسوسريس مع أنه لم يبهز فى الأعمال. وهم يقولون إن دارا قد أذعن لرأى الكاهن. **١١١١** ولما قضى سيسوسريس نحبه، خلفه على العرش فيما يقولون ابنه فيروس^(١) وهذا لم يقم بحملة حربية واحدة، وقد حدث أن أصيب بالعمى من جراء الحادثة التالية: جاء النهر فى ذاك الوقت بفيض أعظم مما جاء به من قبل حتى بلغ ارتفاعه ثمانى عشرة ذراعاً، ولما فاض النهر على الحقول، هاج الريح وماج النهر. حينئذ تناول الملك، وقد تملكه السخط، رمحاً وألقى به فى وسط تيارات النهر، فأصيب بعد ذلك مباشرة بمرض فى عينيه وعمى، وظل أعمى عشر سنوات. وفى السنة الحادية عشرة. جاءه الوحى من مدينة بوطو معلناً أن مدة عقوبته قد انتهت، وأنه سوف يبصر بعد أن يغسل عينيه ببول امرأة لم يكن لها قط اتصال برجل غير زوجها. جرب فيروس امرأته أولاً ولكنه لم يبصر. وبعد ذلك جرب جميع النساء الواحدة بعد الأخرى، وبعد أن أبصر جمع كل النساء اللائى جربهن، ماعدا تلك المرأة التى أبصر بعد الاغتسال ببولها، فى مدينة واحدة وهى التى تسمى الآن «الطمى الأحمر». وبعد أن

(١) ليس ذلك اسماً وإنما هو فى أغلب الظن تحريف اللقب «فرعون».

ساقهن إلى المدينة أحرقهن جميعا والمدينة كذلك. أما المرأة التي أبصر بعد الاغتسال ببولها، فقد اتخذها زوجا لنفسه. ولقد أقام لخلاصه مما أصاب عينيه نصبا في كل المعابد الشهيرة أحقها بالذكر المسلتان الحجريتان الجديرتان بالمشاهدة، اللتان أقامهما في معبد الشمس وقد اتخذت كل منهما من حجر واحد. وطول الواحدة مائة ذراع وعرضها ثمانى أذرع.

٥٥٢ وخلفه على العرش فيما قالوا رجل من منف اسمه في اللغة اليونانية بروتيوس^(١) وله في منف حرم بالغ الأناقة حسن الزينة، قائم في جنوب معبد هيفايستوس. ويقام حول هذا الحرم فينيقيون من صور وتسمى هذه المنطقة كلها «معسكر الصوريين».

ويوجد في حرم بروتيوس معبد يسمى معبد أفروديت المغتربة، وإني أستنتج أن هذا المعبد كان معبد هيلين ابنة تينداروس وذلك لما سمعته من أن هيلين كانت تعيش مع بروتيوس، ولأن المعبد يسمى معبد أفروديت المغتربة، مع أنه من بين سائر معابد أفروديت لا يسمى معبد غير هذا معبد أفروديت المغتربة.

٥٥٣ ولما سألت الكهنة أخبروني أن هذه هي قصة هيلين: «قالوا إن الإسكندر^(٢) بعد أن خطف هيلين من إسبرطة، كان يمشى البحر إلى بلده، وحينما كان في بحر إيجه، طوحت به رياح جارفة إلى البحر المصرى وحيث إن الرياح لم تسكن فقد وصل إلى شاطئ مصر، ومنه إلى

(١) ورد ذكر بروتيوس في هوميروس باعتباره أحد آلهة البحر قايع عند الشاطئ المصرى (الأوديسية ٤: ٣٨٥ وما بعده).

(٢) هو الابن الثانى لبرياموس ملك طروادة وزوجه هيكوبا، ويعرف على الأكثر باسم باريس، وقد خطف هيلين من إسبرطة وكان سببا في إشعال نار الحروب الطروادية، (١١٩٢ - ١١٨٣ ق.م).

ما يسمى الآن بفرع النيل الكانوبي والملاحات. وكان يقوم فوق الشاطئ - ولا يزال قائما إلى الآن - معبد لهرقل إذا احتفى فيه عبد أي من الناس، ووسم نفسه بالعلامات المقدسة، واهباً نفسه للإله، لم يحل مسه لأحد. ولقد ظلت هذه السُّنة نافذة كما هي منذ البدء إلى زمانى هذا. ولما علم خدم الإسكندر بالسُّنة المتبعة في هذا المعبد، تخلوا عنه، وجثوا ضارعين، وشكوا الإسكندر للإله بغية إيدائه ورووا كل ما حدث من أمر هيلين والجرم المقترف في حق مينيلوس. وقدموا هذه الاتهامات إلى الكهنة وإلى حارس الفرع وكان اسمه ثونيس^(١).

١٧٤ فلما سمع ثونيس بهذه الأنباء، بعث بأسرع ما استطاع برسول إلى بروتيوس في منف يقول «وصل رجل أجنبي تيوكرى الجنسسى بعد أن اقتترف جرماً إذاً في بلاد اليونان، ذلك أن الأجنبي اغتصب زوج مضيفه نفسه وأخذها وجاء ومعه أموال جد طائلة. وقد طوحت به الرياح إلى بلادك، فهل ندعه يقلع سليماً معافى أم نجرده مما جاء به؟». ورد بروتيوس على هذا السؤال برسالة يقول فيها «مهتما يكن هذا الرجل الذي ارتكب ذلك الجرم في حق مضيفه أقبضوا عليه وأرسلوه إلى حتى أرى ما عساه أن يقول».

١٧٥ فلما سمع ثونيس هذا قبض على الإسكندر وأمسك مراكبه، ثم ساق الإسكندر وهيلين والأموال فضلاً عن العبيد الضارعين كذلك إلى منف، فلما مثلوا في حضرة بروتيوس، سأل الإسكندر من يكون ومن أي

(١) يقول ديودور الصقلي إن ثون أطلق اسمه على مدينة ثونيس وهي ميناء تجارية على الفرع البر كانوبي من النيل. ك. ١ : ١٩.

مكان أقلع ، فسرد له الإسكندر نسبه ، وذكر اسم وطنه ، وروى بالتفصيل رحلته من المكان الذي أقلع منه .

وبعد ذلك سأله بروتيوس من أين جاء بهيلين ، فلما لم يلتزم جادة الصدق ولم يقل الحقيقة كذبه الذين كانوا يضرعون ورووا قصة جريته بحذافيرها وأخيرا أعلن لهم بروتيوس رأيه قائلاً « لو لم أكن أعلق أهمية كبيرة على ألا أقتل أحدا من الأجانب الذين تطوح بهم الرياح ويأتون إلى بلادى ، لأنزلت بك القصص ثأراً لليونانى . فإنك يا أدنا الرجال ، بعد أن تمتعت بحسن الضيافة ارتكبت عملا فى غاية الشناعة والحطة بأن تهجمت على زوج مضيفك نفسه ، هذا إلى أن ذلك لم يكفك بل أطرت لبها وهربت معها بعد أن سرقته كاللص . ولم يكفك هذا كله بل أنك سطوت على بيت مضيفك قبل أن تغادره . والآن فحيث إننى أعلق أهمية كبيرة على عدم قتل الأجانب ، فلن أدعك تأخذ معك هذه المرأة والأموال ، بل سأحتفظ بهم لمضيفك اليونانى إلى حين يشاء هو أن يأتى لاستردادها ، أما أنت ورفقاؤك فإنى أعلنكم بمغادرة بلادى إلى غيرها فى ظرف ثلاثة أيام ، فإن لم تفعل ، فسأعاملك معاملة العدو» .

١١٦ تلك إذن هى قصة وصول هيلين إلى بروتيوس فيما يقول الكهنة ، وإنى أعتقد أن هوميروس كان على علم بهذه الرواية أيضا ، ولكن حيث إنها لم تكن مناسبة لشعر الملاحم مثل الرواية الأخرى التى أخذ بها ، فقد أهملها ، ولقد أوضح أنه كان على علم بهذه الرواية أيضا . هذا جلياً ، ذلك بأنه جعل طواف الإسكندر فى الإلياذة تبعا لهذه الرواية

(وهو لم يراجع نفسه فيما ذهب إليه في أى موضع آخر) إذ قال إن الإسكندر بعد أن صحب هيلين جيد به عن طريقه، وبعد أن هام على وجهه في غير طريقه المرسومة وصل آخر الأمر إلى صيدا في فينيقية. وهو يذكره في قصة «بسالة ديوميديس»^(١) حيث تقول الأبيات:

«وكانت هناك الأثواب المتنوعة التطريز، صنع عقائل صيدا»
«اللائى ساقهن الإسكندر، شبيهه الإله نفسه، من صيدا ماخراً»
«البحر الفسيح. وسالكا نفس السبيل التي ساق فيها هيلين»
«الكريمة المحتد»

وذكرها أيضا في الأوديسية في الأبيات التالية:^(٢)
«وكان لابنة زيوس عقاقير ماهرة التحضير مفيدة أهدتها لها»
«بوليدامنا زوج ثون المصرية فالحقول الخصبة تنتج عقاقير كثيرة»
«كثير منها مفيد إذا خلط، وكثير منها مضر»
وفي البيتين التاليين أيضا يخاطب مينيلوس تليماخوس قائلا:
«وفى مصر أمسكتنى الآلهة، ولو أننى كنت شديد الشوق إلى الرجوع إلى هنا لأننى لم أضح لها بمائة ثور كاملة»^(٣)

يبين هوميروس في تلك الأبيات أنه كان على علم تام برحلة الإسكندر إلى مصر، لأن سوريا تقع على حدود مصر، ولأن الفينيين وصيدا من بلدانهم، يقطنون سوريا.

(١) هذا هو عنوان الكتاب الخامس من الإلياذة. والسطور المقتبسة من الكتاب السادس ٢٨٩ - ٢٩٢، ولكن تقسيم الإلياذة إلى كتب يرجع إلى زينودوتوس في القرن الثالث ق.م.
(٢) الأبيات من الأوديسية الكتاب الرابع ٢٢٧ - ٢٣٠.
(٣) الأوديسية الكتاب الرابع ٣٥١ - ٣٥٢.

٥٥٢ يتضح من هذه الأبيات وعلى الخصوص الأخيرة أن «الملحمة القبرصية»^(١) ليست لهوميروس بل لشاعر آخر. فقد جاء في القصيدة القبرصية أن الإسكندر وصل إلى طروادة في اليوم الثالث من رحيله من إسبرطه مع هيلين، إذ صادف ريحا مواتيا وبحرا هادئا. هذا في حين أنه يقول في الإلياذة إنه هام معها على وجهه. والآن فالوداع لهوميروس وللملحمة القبرصية.

٥٥٣ ولما سألت الكهنة عما إذا كانت الرواية التي يقصها اليونانيون عن طروادة لا طائل تحتها أم لا، أجابوا - مؤكدين أنهم استقوا معلوماتهم من استتواض مينيلوس ذاته - قائلين إنه بعد سرقة هيلين، ذهب إلى أرض تيوكريس قوة كبيرة مؤيدة لمينيلوس، وبعد أن وصل الجيش إلى البر وعسكر في معسكراته، أرسلوا إلى طروادة سفراء وكان بينهم مينيلوس نفسه.

ولما نفذ هؤلاء داخل أسوار المدينة طالبوا بهيلين والأموال التي كان الإسكندر قد سرقها قبل رحيله، وطالبوا بتعويض عما لحقهم من أضرار. أما أهل تيوكريس فقد قالوا إن لا هيلين ولا الأموال المطلوبة في حوزتهم، بل إنها كلها في مصر، وأنه ليس من العدل أن يؤدوا هم تعويضا عن أشياء في حوزة بروتيوس الملك المصري. وأصرروا على هذا القول عينه في ذلك الحين وفيما بعد، وأطلقوه مؤيدا بقسم وبغير قسم. وتحيل

(١) كانت الملحمة القبرصية مؤلفة من سبعة كتب. ولم يبق منها إلا مقطوعات قليلة. وهي تنسب أحيانا إلى الشاعر ستاسيموس القبرصي الذي عاش حوالي سنة ٧٠٠ ق. م.

اليونانيون أنهم يغررون بهم وهكذا حاصروا المدينة إلى أن اغتصبوها. ولما استولوا على أسوار المدينة ولم تظهر هيلين بل جوبهوا بنفس القصة التي قيلت لهم من قبل، تأكدوا من صحة القصة السابقة وأوفدوا مينيلالوس ذاته إلى بروتيلوس.

٧٧٩ وعندما بلغ مينيلالوس مصر وأبحر إلى منف ذكر حقيقة الأمر، ولاقى إكراما بالغا، واستلم هيلين دون أن يمسهما ضرًّا فضلا عن كل أمواله. وبالرغم مما لاقاه مينيلالوس في مصر من حسن الضيافة فقد كان ظالما للمصريين. ذلك أنه كان شديد الرغبة في السفر فعاقه نوء شديد. ودام النوء وقتا طويلا، فدبر أمرا حراما، ذلك أنه أخذ ولدين لرجلين من أهل البلاد وجعلهما ضحية استرضاء. ولما ظهر أنه ارتكب ذلك الأمر، كرهه المصريون وطاردوه، فاستقل مركبا وهرب على عجل إلى ليبيا. ولم يكن في وسع المصريين أن يقرروا إلى أين اتجه بعد ترك ليبيا. وقد قالوا إنهم عرفوا بعض هذه الحقائق بالبحث، وأنهم يتحدثون في البعض الآخر عن علم يقين لأنها وقعت في بلادهم.

٧٨٥ هذا إذن ما رواه كهنة المصريين، وإنى شخصا أوافق على روايتهم فيما يتعلق بهيلين للاعتبار التالي: لو أن هيلين كانت في طروادة لردت إلى اليونانيين رضى الإسكندر أو لم يرض. فمن المؤكد أنه لا برياموس ولا الآخرون من أقاربه كانوا معتوهين إلى حد أن يرضوا بالمجازفة بحياتهم وحياة أبنائهم ليعاشر الإسكندر هيلين. وإذا سلمنا بأنهم رضوا بذلك في المراحل الأولى من الحرب، فإنه حينما كان يُقتل الكثيرون من سائر الطرواديين كلما التحموا باليونانيين، وحينما كان

يموت في كل مرة تقع فيها الموقعة. اثنان أو ثلاثة أو أكثر من أبناء برياموس (إن جاز لأحد أن يلقي القول اعتمادا على شعراء الملاحم) فإني أعتقد شخصيا أن برياموس كان في مثل هذه الظروف يرد هيلين إلى الأخائيين إن كان يستطيع بذلك أن يتخلص من متاعبه الملائمة. حتى إذا كان هو نفسه يعاشر هيلين. لا، ولم يكن ذلك لأن الملكة ستئول إلى الإسكندر وكانت مقاليد الأمور في يديه لأن برياموس كان قد صار شيئا. فإن هيكتور كان أكبر من الإسكندر، وكان رجلا أفضل منه، وكان على وشك تولى الملك بعد برياموس. ولم يكن ينبغي لهكتور أن يحبذ أخاه في خطاه خصوصا وأن مصائب فادحة قد انتابت هيكتور شخصيا، وسائر الطرواديين عامة، من جرائه.

ولكن الواقع أن هيلين لم تكن عندهم ليردوها، ولا صدقهم اليونانيون حينما قالوا لهم الحقيقة ولقد كان ذلك، وإنى هنا أبدي رأبي الخاص، إن كل هذا من تدبير الإله حتى يهلكوا هلاكا ذريعا فيظهروا لكافة الناس بذلك أنه إذا كانت الجرائم كبيرة كانت العقوبات التي تنزلها الآلهة كبيرة كذلك.

أورث بروتيوس الملكة - فيما قال الكهنة لرامبسينيتوس^(١) الذي خلف تذكارا لعهد بوابة معبد هيقايستوس التي تتجه نحو الغرب، والتمثالين اللذان أقامهما أمام هذه البوابة، وطول كل منهما خمس وعشرون ذراعا. ويسمى المصريون التمثال القائم ناحية شمال

(١) هو فيما يظهر رمسيس الثالث (١١٩٨ - ١١٦٧ ق.م) من الأسرة الثانية والعشرين. وقد اشتهر بسخامة ثروته.

«الصيف»، والتمثال القائم ناحية الجنوب الشتاء. أما التمثال المسمى الصيف فيكرمونه ويجلونّه، أما التمثال المسمى «الشتاء» فيعاملونه بالعكس. ويقال إنه قد تجمعت لهذا الملك ثروة طائلة من المال، ولم يستطع واحد ممن خلفوه على الملك فيما بعد أن يبيزه أو أن يداينه في ذلك. ولما كان حريصا على كنز هذه الأموال في أمان فقد ابتنى خزانة من الحجر تمتد إحدى حوائطها إلى الجدار الخارجى للسراى. ولكن البناء لجأ إلى الحيلة الآتية، لغرض خبيث في نفسه. فقد هيا الحجاره بحيث كان يمكن لرجلين أو حتى لرجل واحد أن ينزع إحداها بسهولة من الحائط. ولما كملت الخزانة، كنز الملك أمواله فيها، وبعد انقضاء ربح من الزمن، وكان البناء قد قارب نهاية الحياة، استدعى أولاده، فقد كان له ولدان، وشرح لهما بياض طريقة نزع الحجر بأكملها، وأعطى لهما أبعاده، وقال لهما إنهما إذا احتفظا بالأمر سرا، فسيصبحان الأمينين على خزائن الملك. ولما انتهت حياة الأب، لم ينتظر ابناه طويلا قبل أن يبدءا فى العمل، وذهبا إلى السراى ليلا، فوجدا الحجر بسهولة فى الجدار، فنزعا وحملا قدرا كبيرا من الأموال. واتفق أن فتح الملك الخزانة، فدهش عندما رأى حوافظ الأموال متضائلة، ولكنه لم يستطع أن يوجه اللوم إلى أحد، لأن الأختام كانت فى مواضعها والخزانة مغلقة. ولما فتح الخزانة مرة ثانية وثالثة ظهر له أن الأموال كانت فى كل مرة أقل مما كانت فى المرة السابقة، ذاك أن اللصين لم يتراخيا فى السرقة. فلجأ الملك إلى حيلة بأن أمر بصنع شرك ووضعا

بجاناب الجرار التي وضعت فيها الأموال. وذهب اللسان إلى الخزانة كما اعتادا في الزمن السابق. ولما دخل أحدهما الخزانة، وقرب من الجرار وقع من توه في إحدى الشرك. وأدرك في أية حالة من اليأس هو. فدعا أخاه على الفور وأطلععه على ما حدث له، وأمره أن يدخل بأقصى سرعة ويقطع رأسه، لئلا تعرف شخصيته حينما يوجد، فيكون في ذلك القضاء على الثاني أيضا. ورأى الثاني أن هذا الاقتراح حسن، فاقتنع وأخذ به. وأعاد الحجر إلى مكانه ورجع إلى بيته حاملا رأس أخيه. فلما طلع النهار، دخل الملك الخزانة، ودهش عندما رأى جثة اللص في الشرك دون رأس، مع أن الغرفة كانت سليمة وليس فيها أثر دخول أو خروج البتة. ولجأ الملك في حيرته إلى الحيلة الآتية: علّق جثة اللص من فوق الحائط، وأمر الحراس الذين وكل إليهم أمر حراستها أن يقبضوا على من يرونه باكيا أو نادبا. ولما علقت الجثة حزنت الأم حزنا شديدا وسأقت الحديث إلى ابنها الباقي، وأوصته بأن يحتال بأى وسيلة استطاع حتى يفك جثة أخيه وينقلها. وأنذرته إن هو أهمل وصيتها أن تذهب إلى الملك، وتخبره بأن الأموال في حوزته. واستمرت الأم في مُرّ تأنيبها لابنها الباقي، ووجه إليها هذا كلاما كثيرا فلم يستطع إقناعها. فلجأ إلى الحيلة الآتية: جهز حميرا وزقاقا ملأها بالنبيذ، ووضعها على ظهور الحمير وساقها. ولما واجه المكان الذي فيه الحراس الذين يحرسون الجثة المعلقة شد الزقاق إليه، وفك اثنتين أو ثلاثا من رقاب الزقاق المربوطة، ولما بدأ النبيذ يسيل أخذ يضرب

رأسه ويصيح عالياً، كأنه لا يدرى إلى أى الحمير ينصرف أولاً. ولما رأى الحراس النبيذ يسيل مدراراً، جروا جميعاً إلى الطريق حاملين أواني وملأوها من النبيذ المتدفق حاسبين الخمر غنماً. أما هو فتصنّع الغضب وسبهم أجمعين. ولما جعل الحراس يواسونه، تصنع كأنه قد هدئ بعد حين وأن غضبته قد خمدت. وأخيراً ساق الحمير من الطريق، وجعل يصلح من شأنها. وجرى بينهم سمر طويل، ومزح معه الحراس حتى إنهم دفعوه إلى الضحك، فأعطاهم إحدى الزقاق. وعقد الحراس النية على الجلوس والشرب دون احتفال واستضافته. فطلبوا إليه أن يبقى معهم ويشاركهم فى الشرب. فوافق هو بالطبع وبقي وبينما هم يشربون حبهو ببشر فأعطاهم واحدة أخرى من الزقاق أيضاً. وبعد أن تعاطى الحراس خمراً كثيراً، صرعهم السكر، وغلبهم النوم، فناموا حيث كانوا يشربون. أما هو، فلما تقدم الليل، فك جثة أخيه، وحلق الجانب الأيمن من ذقون جميع الحراس على سبيل السخرية، ووضع الجثة على ظهور الحمير وساقها إلى منزله، وقد أدى ما أوصت به أمه.

وقد اغتاز الملك غيظاً عظيماً حينما حمل إليه النبأ بأن جثة اللص قد سرقت، وأراد أن يقع قبل كل شىء على الرجل الذى دبّر ذلك. فلجأ إلى الحيلة الآتية فيما يقولون، ولو أننى لا أصدقها. وضع ابنته فى ماخور وأمرها بأن تستقبل كل من يأتيها على السواء، وأن تجعل كل واحد يقص عليها أدهى وأخبث ما صنع فى حياته. فإذا روى لها أحد ما حدث فى أمر اللص تمسك به ولا تدعه يفلت. ولما نفذت الابنة ما صدر عن أبيها من أوامر، تصرفت اللص على النحو التالى فقد كان

يعلم الأغراض التي صنع الملك ذلك من أجلها، وكان يريد أن يبرز الملك في المكر: قطع ذراع جثة حديثة الموت من الكتف، وذهب إليها حاملا إياها تحت رداءه ولما دخل على ابنة الملك وجهت إليه السؤال الذي توجهه إلى الآخرين، فقال لها إن أخبث ما صنع هو قطع رأس أخيه عندما وقع في شرك في خزانة الملك. أما أدهى أعماله فأسكار الحراس وفك جثة أخيه المعلقة. فلما سمعت البنات ذلك حاولت أن تمسك به فمد لها اللص في الظلام ذراع الجثة، فأمسكت بها وأطبقت عليها معتقدة أنها قابضة على ذراعه هو. أما اللص فترك لها الذراع وخرج من الباب هاربا. فلما حملت هذه الأنبياء كذلك إلى الملك، تولاه العجب لدهاء هذا الرجل وجرأته، وأخيرا أرسل إلى كافة المدن معلنا أنه إذا جاء الرجل إلى حضرة الملك فإنه يؤمنه على حياته ويعده بوعود كثيرة. فوثق به اللص، وذهب إليه، فأعجب به رامبسينيتوس كثيرا، وزوجه من ابنته هذه ذاتها باعتبارها أكثر الناس دهاء. وقال إن المصريين يفوقون سائر الشعوب في الدهاء، وهذا الرجل يفوق جميع المصريين^(١)

١٢٢ ويقول المصريون إن هذا الملك هبط بعد ذلك إلى المكان الذي يعتقد المصريون أنه العالم السفلى، وهناك لعب النرد مع ديميتير، وغلبها أحيانا وأحياناً غلبته، وأنه رجع ثانية حاملا منديلا مذهبا هدية منها. ويرجع إلى هبوط رامبسينيتوس وصعوده ثانية إحياء المصريين - فيما يقولون - لعبيد لا يزالون يحيونه فيما أعرف شخصا إلى زمانى

(١) القصة مصرية قديمة استهوت الشعب وعاشت في خياله محتفظة بطابعها المصرى القديم، ولم يتردد ناسبيرو في ضمها إلى مجموعة الأدب الشعبى المصرى القديم.

هذا، ولو أنني لا أستطيع على أية حال أن أجزم بأنهم بدأوا بإحيائه من أجل هذه الحادثة. ففي اليوم المعين للعيد يفرغ الكهنة من نسج ثوب، ثم يعصبون عيني أحدهم بعصابة، ويسوقونه وقد ارتدى الثوب إلى الطريق المؤدية إلى معبد ديميتير، ثم يعودون أدراجهم على الفور. أما ذلك الكاهن فيقوده - فيما يقولون - ذئبان إلى معبد ديميتير الذي يبعد عن المدينة بمقدار عشرين ستادا. ثم يقوده الذئبان^(١) راجعين على الفور إلى البقعة عينها.

١٣٣ وللمرء أن يأخذ بأقوال المصريين هذه إذا صدق أمثال هذه الروايات، أما أنا فديدنى فى كل هذا التاريخ أن أسجل ما أسمع من أقوال من أية جماعة. فالمصريون يقولون إن ديميتير وديونيسوس يحكمان العالم السفلى، هذا إلى أن المصريين هم أول من قال بعقيدة إن روح الإنسان خالدة وأنها تنتقل دائما متى هلك الجسم، إلى كائن آخر، وعندما تذهب بالتتابع إلى جميع المخلوقات على الأرض وفي الماء وفي الهواء، ترجع من جديد إلى جسم الإنسان حين ميلاده، ويقولون إن دورة الروح تتم فى ثلاثة آلاف عام^(٢). ولقد أخذ كتاب من اليونانيين بهذا المذهب، بعضهم متقدم وبعضهم متأخر، ونادوا بهذا المذهب كأنه مذهبهم، وإنى مع معرفتى بأسمائهم لا أسميهم.

١٣٤ ويقولون إنه إلى عهد الملك رامبسينيتوس كانت فى مصر حكومة سالحة من جميع الوجوه، وكانت مصر مزدهرة ازدهارا عظيما.

(١) يُرى ابن آوى على الآثار المصرية وهو يمثل أنوبيس الذى يقود الموتى.

(٢) تناسخ الأرواح من المعتقدات الشعبية التى لم تجد طريقها إلى النصوص المقدسة.

وبعده صار كيوبس^(١) ملكا عليهم، ودفع بهم إلى جميع أنواع الموبقات. ذلك أنه أغلق جميع المعابد ومنع المصريين من التضحية أولا، وبعد ذلك أمر جميع المصريين بالعمل من أجله، فأمر بعضهم بجر الحجارة من المحاجر الواقعة في الجبال العربية إلى النيل، وعهد إلى غيرهم، بعد نقلها عبر النهر بالراكب، باستلامها ونقلها إلى تلك الجهة التي تدعى الهضبة الليبية. وكانوا يعملون بغير انقطاع في جماعات مؤلفة من ١٠,٠٠٠ رجل، تعمل كل منها ثلاثة أشهر. أما عن الوقت فقد استلزم إقامة الطريق الذي جروا عليه الأحجار، عشر سنوات من الضغط على الشعب. وهو عمل لا يقل كثيرا فيما يبدو لى عن بناء الأهرام، فإن طول هذا الطريق خمسة ستاد، وعرضه عشرة أباوع، وعلوه فى أقصى ارتفاعه ثمانية أباوع، وهو مبنى من حجارة مصقولة منقوش فيها صور حيوانات. وقد صرف فى بناء هذا الطريق والغرف التى تحت الأرض فى التل الذى يقوم عليه الأهرام عشر سنوات، وهذه الغرف التى تحت الأرض، وقد جعلها مقابر لنفسه فى جزيرة ساق إليها ماء النيل بوساطة قناة. وانقضى من الوقت فى بناء الهرم نفسه عشرون سنة. وهو مربع طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية بليثرا وارتفاعه مثل ذلك، وهو مبنى من حجر مصقول ملصق ببعضه ببعض بدقة فائقة، وليس فيه حجر واحد يقل طوله عن ثلاثين قدما.

وهذه هى طريقة بناء الهرم: بنى أولا بشكل سلالم ويسمىها البعض درجات والبعض الآخر هياكل، وبعد أن بنوها على هذا النحو

(١) هو خوفو من فرعون الأسرة الرابعة (٢٧٠٠ ق.م) تقريبا وهو باني الهرم الأكبر.

بادئ ذي بدء رفعوا الأحجار الأخرى بواسطة آلات من ألواح خشبية قصيرة، فهم يرفعون الأحجار من الأرض إلى الطبقة الأولى من الدرجات، وبعد أن يرفع الحجر إلى هذه الطبقة يوضع على آلة أخرى قائمة على الطبقة الأولى، ومنها يرفع إلى الطبقة الثانية ومنها يوضع في آلة ثالثة. فقد كان هناك آلات بعدد الدرجات، أو لعلها كانت آلة واحدة، صنعت بحيث يسهل نقلها، فكانوا ينقلونها من طبقة إلى أخرى كلما فرغوا من نقل الحجاره في طبقة بعد طبقة. ومن الواجب على أن أثبت الروائتين لأن المصريين يقولون بالروائتين كليهما. وقد أكملوا أولا الجزء الذي في القعة ثم بعد ذلك أكملوا الأجزاء التالية وأخيرا انتهوا من الأجزاء السفلى القريبة من الأرض. ويوجد على الهرم نقش بالحروف المصرية يذكر كم من المال صرف على الفجل والبصل والثوم للعمال، وإذا لم تخنى الذاكرة فيما قاله الترجمان عندما كان يقرأ النقش، فإن المبلغ الذي صرف في ذلك كان ١٦٠٠ طالنت من الفضة. فإذا كان الأمر كذلك فكم كانت النفقات التي بذلت بالإضافة إلى هذا على الآلات الحديدية التي اشتغلوا بها، وعلى مآكل العمال وملبسهم، إذا كان الوقت الذي قضوه في العمل كان كما ذكرت في موضع آخر، وأنهم صرفوا وقتا غير قليل، فيما يخيل إلى، في قلع الأحجار ونقلها وفي حفر القناة الجوفية^(١)؟

وقد انحدر كيوبس فيما يقولون إلى درك سحيق من الانحطاط، حتى إنه عندما أعوزه المال، وضع ابنته في ماخور وأمرها أن تتقاضى

(١) راجع الفصل (١٢٤).

مبلغا معيناً، لم يقولوا لى كم. وفضلا عن تقاضيتها ما أراد أبوها فقد عقدت نيتها على ترك نصب خاص بها. ولذلك فقد كانت تطلب من كل رجل يزورها أن يهدى إليها حجرا ليستخدم فى هذا النصب، وقد بُنى من هذه الأحجار الهرم الذى يقع فى منتصف الثلاثة وهو أمام الهرم الأكبر ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعه مائة وخمسين قدما.

٥٢٧ وحكم كيوبس فيما يقول المصريون خمسين عاما، وبموته تولى الملك أخوه خفرع، وانتهج هذا نهج أخيه فى جميع الأمور وفى إقامة هرم، ولكن هرمه لا يبلغ حجم هرم أخيه. وإنا نعلم ذلك لأننا قسنا الهرمين جميعا. هذا إلى أنه لا يشتمل على غرف تحت الأرض، ولا تتصل به قناة من النيل مثل التى تتصل بالهرم الأكبر. ففى هذا الهرم الآخر تسير القناة فى مجرى ذى جوانب مرصوفة، وتحيط بجزيرة يرقد فيها - فيما يقولون - كيوبس وقد بنى الطبقة الأولى التى تكون الأساس من حجر حبشى ملون. ومع أن هذا الهرم يقل بمقدار أربعين قدما عن الهرم الآخر فى الارتفاع، فقد ابتناه على مثل ضخامة الهرم الأكبر عينها وبالقرب منه. ويقع كلاهما فى تل واحد ارتفاعه مائة قدم تقريبا، وحكم خفرع فيما قالوا ستا وخمسين سنة.

٥٢٨ وهم يعدون هذه السنوات الست والمائة فترة كان فيها المصريون فى غاية من البؤس. فقد كانت المعابد مغلقة أثناء تلك الفترة، ولم تفتح فيها أبدا. ولا يحب المصريون أن يذكروا اسمى هذين الحاكمين

على الإطلاق لكرهم لهما، بل إنهم يدعون هرميهما باسم الراعى فيليتيوس^(١) الذى كان يرعى الأغنام فى تلك الأنحاء فى وقت بنائهما.

١٢٩ وبعد هذا الملك تولى حكم مصر فيما يقولون منقرع بن كيوبس ولم يوافق هذا على أعمال أبيه، وفتح المعابد، وترك الناس وقد أرهقوا إلى حضيض البؤس يؤوبون إلى أعمالهم وتضحياتهم، وأصدر أحكاما كانت أعدل من أحكام سائر الملوك، وهم من أجل ذلك يمدحونه بوجه خاص أكثر من جميع الملوك الذين حكموا مصر. فضلا عن إصدار أحكام عادلة فقد عوض من ماله الخاص حقا كل من لم يرض عن أحكامه وهكذا هدأ سخطهم. وفيما هو رحيم برعيته ودائب على عمل الخير، بدأت مصائبه أولا بموت ابنته. وهى الابنة الوحيدة التى كانت له فى القصر. فكان حزنه شديدا للرزء الذى أصابه، وأراد أن يدفن ابنته بطريقة خارقة للمألوف، فأمر بصنع بقرة من الخشب جوفاء، ثم ذهبها ودفن فى داخلها ابنته المتوفاة.

١٣٥ ولم تغيب هذه البقرة فى الأرض، بل إنها إلى يومنا هذا بادية للعيان، موضوعة فى مدينة سايس فى غرفة مزينة فى القصر الملكى. وهم يحرقون لها البخور فى كل يوم من جميع الأنواع طوال النهار، ويوقدون لها مصباحا طوال الليل. وتوجد بالقرب من البقرة، فى غرفة أخرى تماثيل لسرايا منقرع، فيما يقول كهنة مدينة سايس، فهناك تماثيل ضخمة من الخشب تبلغ العشرين عدا تقريبا، وهى مصنوعة

(١) لعل فى ذكر فيليتيوس الراعى صدى بعيد لحكم الهكسوس - الملوك الرعاة - والاسم يشير من بعيد إلى فلسطين وقد كان الفلسطينيون بعضا من الغزاة.

على هيئة نساء عرايا، وإنى لا أستطيع أن أقطع فيمن عسى أن يكون هؤلاء، إلا بما قيل لى.

١٣٦ يروى البعض هذه القصة التالية فى البقرة والتمثيل الضخمة: تعلق منقرع بحب ابنته واغتصبها، فخنقت الابنة نفسها بعد ذلك كمدا، فدفنها الملك داخل هذه البقرة، أما الأم فقد قطعت أيدي الوصيفات اللائى وضعن البنات بين يدي أبيها، وعلى هذا فالتمثيل مشوهة كما كانت الوصيفات أنفسهن مشوهات فى الحياة. ولكنى أعتقد أن هذه القصة لا طائل تحتها خصوصا فيما يتعلق بأيدي التماثيل، فإن الأيدي قد تهاوت بفعل الزمان كما رأينا بأنفسنا، فهى ترى ملقاة على الأرض تحت أقدام التماثيل حتى إلى يومنا هذا.

١٣٧ وجسم البقرة كله مغطى بكساء أحمر فيما عدا الرقبة والرأس فهى مكسية بطبقة سميكة جدا من الذهب، ويوضع فيما بين القرنين قرص الشمس مصورا بالذهب. والبقرة ليست قائمة بل جاثمة على ركبها، وهى فى حجم بقرة ضخمة حية. وتخرج البقرة مرة فى السنة وذلك عندما ما يحد المصريون على الإله^(١) الذى لا أسميه فى هذا الصدد، ففى هذه المناسبة تنقل البقرة إلى ضوء النهار. فهم يقولون إن البنات عند موتها التمسست من أبيها أن ترى الشمس مرة واحدة فى السنة.

١٣٨ وبعد موت ابنته، أصابت ذلك الملك فيما يقول الكهنة مصيبة ثانية على النحو التالى: جاءه الوحى من مدينة بوطو منبئا بأنه سوف

(١) يعنى أوزيريس، راجع (٦١)، (٨٦).

يعيش ست سنين فقط ويموت في السنة السابعة. غضب الملك لذلك، وأرسل إلى الوحي يرد عاتبا على الإله أن أباه وعمه اللذان أغلقا المعابد ولم يذكروا الآلهة، بل أهلكا الناس، قد عاشا زمنا طويلا وهو التقى يوشك أن يموت بهذه السرعة. وجاءه الرد ثانية من الوحي قائلا إن حياته قد اقتضيت لهذه الاعترافات، ذلك بأنه لم ينفذ ما وجب عليه تنفيذه، فقد كان قد قضى على مصر أن تشقى مدة مائة وخمسين عاما. ولقد فهم الملكان اللذان حكما مصر قبله ذلك القضاء، ولم يدركه هو. لما سمع منقرع هذا الرد أدرك أن مصيره قد تقرر، فأمر بصنع مصابيح كثيرة، وكان يشعلها كلما جن الليل، ويشرب ويمجن لا يتوقف نهرا أو ليلا. وسافر إلى المستنقعات والغابات وإلى حيثما بلغه أنه يوجد مسارج لهو مستحبة. أراد بهذا التصرف أن يظهر أن الوحي كاذب، وكان هدفه أن تصبح السنوات الست، وقد انقلب الليل نهرا، اثنتي عشرة سنة.

وترك هو الآخر هرما، ولكنه يقل كثيرا عن هرم أبيه. وهو مربع القاعدة ينقص عنه كل ضلع بمقدار عشرين قدما في كل ثلاثائة قدم وهو إلى نصفه من الحجر الحبشى. ويذهب بعض اليونانيين إلى أنه أقيم للغانية رودوبيس وهم فى ذلك مخطئون، بل إنهم كما اتضح لى، يقولون هذا وهم لا يعرفون من عساها أن تكون رودوبيس هذه، فلو عرفوها ما نسبوا مثل هذا الهرم إليها، فقد أنفق عليه ما لا يحصى من آلاف الطالنت كما نقول. وفضلا عن هذا فإن رودوبيس قد ازدهرت فى عهد الملك أمازيس وليس فى عهد منقرع. وإذن فقد عاشت رودوبيس بعد هؤلاء الملوك الذين خلّفوا هذه الأهرام بسنين عددا. وكان أصلها

من تراقيا، وكانت سرية لايدامون بن هيفايستوبوليس وهو من جزيرة ساموس وكانت زميلة في الرق لأيسوبوس^(١) القاص. أما أن أيسوبوس كان عبدا لإيدامون فيتضح جليا وبوجه خاص من الحادثة الآتية: لما كرر سدنة دلفي، بأمر من الوحي، النداء بأن من يريد أن يأخذ دية أيسوبوس فليتقدم، لم يتقدم أحد آخر غير إيدامون آخر هو حفيد الأول. وعلى هذا كان أيسوبوس، هو الآخر ملكا لإيدامون.

١٣٥ وقد جاءت رودوبيس إلى مصر مصحوبة بكَزاثيوس من أهل ساموس. جاءت لمباشرة حرفتها، وأعتقها خراكسوس المتيليني بمبلغ كبير من المال، وهو ابن سكاماندرونيموس وأخو الشاعرة سافو^(٢) وهكذا صارت رودوبيس امرأة حرة. وبقيت في مصر حيث جمعت، لكونها شديدة الفطنة، ثروة كبيرة بالنسبة لامرأة مثل رودوبيس ولكنها ليست كبيرة إلى حد أن تكفي لتشبيد هرم كهذا. ولا يزال من الميسور لكل من يريد أن يتحقق من ثروتها أن يرى إلى يومنا هذا عُشر هذه الثروة، فلا ينبغي أن نعزو لها ثروة كبيرة. فقد أرادت رودوبيس أن تترك في بلاد اليونان تذكارا لها، فأمرت بصنع شيء لم يتفق لغيرها أن يقع على مثله أو يهديه للمعبد، ووضعت في دلفي تذكارا لها. نعم أمرت بأن يصنع بعشر ثروتها سفافيد من حديد من التي تستخدم في شَيء البقر، وجعلتها كثيرة بقدر ما يفي عُشر الثروة، وأرسلتها إلى دلفي.

(١) قاص أو راوية للقصص، عاش في القرن السادس قبل الميلاد، ولكن كثيرا من القصص المنسوبة إليه كانت معروفة قبله، وهو لم يدون قصصه شأنه في ذلك شأن سقراط.
(٢) شاعرة لسبوس الشهيرة عاشت حوالي سنة ٦٠٠ ق.م.

ولا تزال هذه السفافيد إلى الآن مكومة هناك، وراء الهيكل الذى أهدها الخيويون، وأمام المحراب ذاته. ولأمر ما تبدو غوانى نوقراطيس عادة فى غاية الفتنة. فالأمر لا يقتصر على تلك المرأة الذى كان كلامنا دائرا عليها وحدها، والتي اشتهرت إلى حد أن كل اليونانيين كانوا يعرفون اسم رودوبيس، بل إنه فى عصر متأخر كانت هناك غانية أخرى اسمها أرخيدىكى اشتهرت فى طول بلاد اليونان وعرضها بأغانيها، ولو أن اسمها كان أقل دورانا على الألسنة من الأخرى. ولما أعتق خراكسوس رودوبيس ورجع إلى ميتيلينى، سخرت منه سافو كثيرا فى أشعارها. ولنقف عند هذا الحد فيما يتعلق برودوبيس.

١٣٦ وبعد منقرع أصبح أسوخيس^(١) فيما يقول الكهنة ملكا على مصر، وهو الذى شيد المدخل الشرقى لمعبد هيفايستوس، وهو أبهى المداخل وأضخمها بكثير. فمع أن كل المداخل فيها أشكال محفورة وآلاف الصور ومناظر زخرفية أخرى لا تحصى، فإن هذا المدخل أبهاها ببعيد. ويقولون إنه فى عهد ذلك الملك قد تداول النقد قلة شديدة، فصدر فى مصر قانون يخول للرجل أن يستدين بوضع جثة أبيه رهنا، وهكذا يستلم المبلغ. وأضيفت إلى هذا القانون مادة تخول الدائن سلطة مطلقة على مقبرة المدين كلها، فإذا لم يشأ المدين الذى قدم ذلك الرهن أن يفى بالدين، كانت عقوبته ألا يدفن عند موته، ولا أن يدفن أى فرد آخر من أفراد عائلته، لا فى مقبرة أهله ولا فى أى مقبرة أخرى.

(١) المرجح أنه الملك شب - سير - كاف وهو آخر ملوك الأسرة الرابعة. عاش حوالى سنة

٢٦٠٠ ق.م.

وأراد ذلك الملك أن ييز من سبقوه من ملوك مصر فترك هرما من اللبن، وعليه نقش محفور في الحجر يقول «لا تحتقرنى بالقياس إلى الأهرام الحجرية، فإنى أفضلها كما يفضل زيوس سائر الآلهة، فقد ألقى الناس في البحيرة مسبارا، فتعلق بعض الطين بالمسبار، جمع الناس هذا الطين وصنعوا منه لبنات، وبهذه الطريقة شيدونى» تلك هى الأعمال التى قام بها هذا الملك.

١٣٧ وبعد ذلك الملك تولى الملك رجل أعمى من مدينة أنيسيس، واسمه أنيسيس، وفى عهد هذا الملك غزا شباكا^(١) ملك الأحباش مصر بقوة كبيرة أما الأعمى فقد فرّ هاربا إلى المستنقعات، وأما الحبشى فحكم مصر مدة خمسين عاما، كان سلوكه فيها على النحو التالى: كلما ارتكب أحد من المصريين جرما ما، لم يشأ أن يقتل واحدا منهم، بل كان يقضى فى كل بما يتفق وضخامة الجرم، ويأمر كلا بإقامة السدود فى المدينة التى جاء منها كل واحد من المجرمين، وهكذا أصبحت المدن أكثر ارتفاعا عن ذى قبل، لأنها بعد أن كانت قد ارتفعت أول الأمر بفضل الذين حفروا القنوات فى عهد سيسوستريس، ارتفعت ثانية من جراء هذه العمليات فى عهد الملك الحبشى، وأصبحت شديدة العلو، ومع أن سائر المدن المصرية مرتفعة، فأرض المدينة فى بوباسطيس، فيما يخيل إلى، مرتفعة بوجه خاص، وفيها معبد بوباسطيس، وهو عظيم الجدارة

(١) هو شباكا من الأسرة الخامسة والعشرين التى تتألف بحسب قول مانيتو من ثلاثة ملوك فقط هم: شباكا، وشباتاكا، وطهراقا، وذكر ديودور أنها تتألف من أربعة ملوك. وليس فى الوثائق القديمة ما يدعم ما ذكره هيرودوت من أنهم كانوا ثمانية عشر ملكا.

بالوصف، وقد يكون غيره من المعابد أضخم منه حجما، وأبهظ نفقات، ولكن ليس فيها معبد واحد يفوقه بهجة للنظر، والإلهة بوباسطيس هي في اللغة اليونانية أرتميس.

٥٣٨ وهذا هو وصف المعبد: يقوم كله فيما عدا المدخل على جزيرة، إذ ينساب من النيل فرعان لا يلتقيان ببعضهما، ولكنهما يجريان كل على حدة إلى مدخل المعبد، ويحفان بالمعبد كل من جانب، وعرض كل من الفرعين مائة قدم وتظللها الأشجار. أما المدخل فارتفاعه عشرة أذرع، ومزخرف بأشكال طولها ستة أقدام وهي جديرة بالوصف. ويقع المعبد في وسط المدينة، ويرى من جميع الجهات إذا درت حوله. ذلك بأنه في حين أن المدينة قد ارتفعت لم يرتفع المعبد عن المستوى الذي كان عليه يوم شيد أولا، فهو لهذا ظاهر. ويحيط بالمعبد سور نقشت فيه أشكال، وفي داخل السور بستان ذو أشجار باسقة نامية حول المحراب الكبير الذي يوجد داخله تمثال الإلهة. ويبلغ طول المعبد وعرضه في جميع الجهات ستاد، ويوجد بحذاء المدخل طريق مرصوف بالحجارة، لمسافة ثلاثة ستاد تقريبا، وهو يمتد شرقا مخترقا السوق، وعرضه أربعمائة قدم، وتنمو على جانبي هذا الطريق أشجار تبلغ عنان السماء، وهو يؤدي إلى معبد هرمس. ذلك إذن هو وصف المعبد.

٥٣٩ وكان خروج الحبشى النهائى من مصر على هذا النحو: أسرع بالفرار بعد أن رأى حلما فى منامه. رأى كأن رجلا يقف إلى جانبه وينصحه بأن يجمع كل كهنة مصر ويقطعهم من الوسط. فقال بعد أن رأى هذا الحلم إنه يخيل إليه أن الآلهة تحيك له شركا حتى إذا انتهك

حرمة الأشياء المقدسة أصابه الضر من الآلهة أو الناس، وأنه لن يفعل هذا، بل إن الوقت الذي قُضِيَ بأن يحكم فيه مصر قد انقضى ولم يبق إلا الانسحاب. ذلك بأنه عندما كان في الحبشة أعلن الوحي الذي يستنبؤه الأحباش أنه قد قُصِيَ بأن يكون ملكا على مصر مدة خمسين عاما، وحيث إن هذه الفترة قد انقضت الآن، وأن الحلم الذي رآه في منامه كان يزعجه، فقد انسحب شباكا من مصر مختارا.

١٤٤ وحالما قفل الحبشى راجعا من مصر، جاء الأعمى وحكمها ثانية إذ إنه كان قد ابنتى جزيرة فى إقليم المستنقعات بركام الرماد والتراب. وظل يعيش عليها طيلة الخمسين عاما. فإنه أمر كل واحد من المصريين (وقد كان مقررا أن يزوروه حاملين الطعام خلسة من الحبشى) أن يحضروا معهم كلما جاءوا رمادا أيضا بمثابة هدية. ولم يستطع ملك واحد قبل أميرتيوس أن يقع على هذه الجزيرة، فالملوك الذين سبقوا أميرتيوس لم يوفقوا فى العثور عليها مدة تزيد على سبعمائة سنة. واسم هذه الجزيرة هو إلبو وامتدادها فى جميع الجهات عشرة ستاد.

١٤٥ وتولى بعده الحكم كاهن هيفايستوس واسمه سيثوس^(١) وقد عامل المحاربين المصريين بامتهان وازدراهم ظانا أنه لن يحتاج إليهم. ولقد أبدى نحوهم كثيرا من مظاهر الامتهان منها أنه جردهم من إقطاعاتهم، مع أنهم كانوا يعطون كل واحد منهم فى عهد من

(١) لم يرد ذكره فى غير هذا الموضع من الأدب القديم. ولعله كان كاهنا مصرية يحكم فى مصر السفلى تحت سلطان الأحباش. ويذهب البعض إلى أن كلمة سيثوس هى تحريف للفظه المصرية «ستنى» لقب الكاهن.

سبقة من الملوك قطعة منتقاة مساحتها اثنا عشر فدانا. وبعد ذلك ساق سانخاريب^(١) ملك العرب والآشوريين جيشا عظيما على مصر. ورفض المحاربون المصريون طبعا أن يساعدوا ملكهم. ولقد وجد الكاهن نفسه في مأزق فذهب إلى المحراب وندب أمام التمثال ما يحيق به من بؤس. وفيما هو يندب أخذه النوم، وخيل له في الحلم كأن الرب يقف بجانبه يشد إزره قائلا إنه لن يصيبه ضرر إذا خرج لملاقاة الجيش العربى، وذلك لأن الرب ذاته سيرسل إليه من يساعدونه. اعتمد على هذه النبؤات وأخذ معه من المصريين من رغب فى اتباعه وعسكر فى بيلوزيوم، فهناك المنافذ إلى القطر. ولم يتبعه واحد من المحاربين بل تبعه تجار وصناع وباعة. ولما وصلوا هناك هجمت على أعدائهم بالليل أسراب من الفئران^(٢) البرية، وقرضت جعبهم وأقواسهم وحمائل دروعهم كذلك، حتى إنهم فروا فى اليوم التالى وقد أصبحوا عزلا من السلاح، وسقط منهم الكثيرون، وإلى الآن يقوم تمثال حجرى لهذا الملك فى معبد هيفايستوس حاملا فى يده فأرا، عليه نقش يقول «فليتق الله كل من ينظر إلى»^(٣).

١٤٢ القول إلى هذا الحد من تاريخنا قول المصريين وكهنتهم، وقد بينوا لى أنه قد عاش منذ أول ملك إلى كاهن هيفايستوس هذا وهو آخر الملوك واحد وأربعون وثلثمائة جيل من الناس. وكان عندهم عدد من

(١) سانخاريب ملك الآشوريين غزا مصر فى أوائل القرن السابع ق.م وطُرد من مصر فى عهد طهرافا الذى ينتهى سنة ٦٦٣ ق.م.

(٢) الفأر رمز الطاعون عند اليونانيين.

(٣) كان الفأر مقدسا للإله حورس فى مدينة بوطو، ويظهر أن مصدر القصة كان صورة لكاهن حورس يحمل الفأر رمز الإله.

الملوك والكهان يماثل عدد الأجيال. والآن، فإن ثلثمائة جيل من الناس تساوي عشرة آلاف عام لأن القرن مكون من ثلاثة أجيال. ويبلغ ما تشتمل عليه الأجيال الواحد والأربعون الباقية ١٣٤٠ عاما. وهم يقولون إنه في ١١٣٤٠ سنة لم يظهر إله واحد في هيئة إنسان. وقرروا أنه لم يظهر شيء من هذا القبيل في عهود ملوك مصر الباقين لا من قبل ولا من بعد. هذا ولكنهم يقولون إنه في تلك الفترة قد طلعت الشمس من غير مواضعها المعهودة أربع مرات، فأشرقت مرتين حيث تغرب الآن وغربت مرتين حيث تشرق الآن، وأنه لم يتغير شيء في مصر من جراء هذا لا في غلة الأرض ولا في نتاج النهر، ولا فيما يتعلق بالأمراض أو الموت.

١٤٣ ولما كان هيكتايوس^(١) المؤرخ في طيبة فيما مضى تتبع نسبه ووصل بابائه إلى إله في الجيل السادس عشر قبله، وقد صنع معه كهنة زيوس مثل الذي صنعوه معي مع أنني لم أتتبع نسبي. ذلك أنهم فادوني إلى المحراب الداخلي وأروني تماثيل خشبية ضخمة، وعدوها مبينين أن عددها كان كما قالوا تماما. فإن كل كاهن أعظم يضع هناك تماثلا لنفسه أثناء حياته. وفيما كان الكهنة يعدونها ويطلعوني عليها، بينوا لي أن كل واحد من الكهان العظام كان خليفة أبيه. وقد بينوا هذا بادئين بآخر من مات منهم ومارين بهم جميعا إلى أن أتوا على ذكرهم أجمعين.

(١) هيكتايوس الملطي مؤرخ وجغرافي سابق لهيروودوت، وقام برحلات كثيرة في آخر القرن السادس ق.م. وقد زار مصر في عهد دارا ليجمع مادة لكتابه «حول الأرض» الذي نشره قبل سنة ٥٠٠ ق.م. ومن كتبه الأخرى كتاب «التواريخ» و«الأنساب».

ولما تتبع هيكاتيوس نسبه ووصل بنسبه إلى إله في الجيل السادس عشر قبله، عارضوا نسبه اعتمادا على هذا الثبت. فإنهم لم يصدقوا ما قرر من أن إنسانا ينشأ عن إله. وقد عارضوا نسبه بأن بينوا أن كل واحد من أصحاب التماثيل الضخمة كان بيروميس خليفة بيروميس، وبينوا أن هذا ينطبق على الخمسة والأربعين وثلثمائة تمثالا، ولم يعزوا أصل واحد منها إلى إله أو بطل. وبيروميس تعنى فى اللغة اليونانية «رجل فاضل»^(١).

١٤٤ وإذن فقد استتبع تدليلهم أن هذه التماثيل كانت مطابقة لأصولها الإنسانية، وكانت بعيدة فى جميع الأحوال عن الآلهة. وقبل هؤلاء الأناسى كانت الآلهة تحكم وتعيش مع الأناسى جنبا إلى جنب وكان واحد منها يسيطر عليها دائما. وكان آخر الملوك من الآلهة هورس ابن أوزيريس ويسميه اليونانيون أبوللون، وهو الذى خلع طيقون، وكان آخر الآلهة التى حكمت مصر. وأوزيريس هو فى اللغة اليونانية ديونيسوس.

١٤٥ ويُعد هرقل وديونيسوس وبان فى بلاد اليونان أصغر الآلهة. أما المصريون فيعدون بان أقدم الآلهة، وأحد الآلهة التى يسمونها الآلهة الثمانية الأولى. وهرقل أحد آلهة الطبقة الثانية ويسمونها الآلهة الاثنى عشر، وديونيسوس أحد آلهة الطبقة الثالثة الذين نشأوا عن الآلهة الاثنى عشر. ولقد ذكرت فيما سبق كم من السنين انقضى فيما يقول المصريون

(١) «بى - رومى» تعنى فى المصرية «الرجل» ولفظة «رومى» كانت اللفظة الشائعة لعنى مصرى. وهى تعنى أيضا «إنسان» فى مقابل «إله».

بين هرقل والملك أمازيس. ويقال إن الفترة التي انقضت منذ عهد بان أطول من ذلك. وانقضت منذ عهد ديونيسوس فترة أقصر من ذينكما. وهم يعدون من عهد ديونيسوس هذا إلى عهد الملك أمازيس خمسة عشر ألف عام. ويقرر المصريون أنهم يعرفون ذلك على وجه الدقة، إذ إنهم يعدون السنين باستمرار ولا ينقطعون عن تسجيل أعدادها. هذا مع أن الفترة منذ عهد ديونيسوس بن سميلي ابنة كادموس إلى زمانى هذا حوالى ستمائة وألف عام. ومن هرقل بن الكمينى تسعمائة عام تقريبا، والفترة من بان بن بينيلوبى (يقول اليونانيون إن بان بن هرمس وبينيلوبى) أقصر من الفترة التي انقضت منذ الحروب الطروادية التي حدثت منذ ثمانمائة سنة تقريبا.

١٤٦ ولكل واحد أن يختار من هاتين الروايتين ما يراها أولى بالتصديق. ولقد أوضحت أنا شخصا رأى فى الموضوع، فإذا كان هذان الإلهان (ديونيسوس بن سميلي، وبان بن بينيلوبى) اشتهرا وعمرا فى بلاد اليونان شأنهما فى ذلك شأن هرقل بن أمفيتريون، فالقائل أن يقول إن هذين الإلهين كانا إنسانين واتخذا اسمى ذينك الإلهين المذكورين. وبعد، فإن اليونانيين يقولون إن زيوس قد خاط ديونيسوس إلى فخذة بعد أن وُلد مباشرة وحمله إلى نيسا^(١) التى تقع فى الحبشة فيما وراء مصر. ولكنهم لا يعلمون ما حدث لبان بعد ميلاده. فمن الواضح إذن فيما يخيل إلى أن اليونانيين عرفوا اسمى هذين الإلهين بعد أسماء الآلهة الأخرى، وأنهم وضعوا ميلاد هذين الإلهين فى الفترة التى دروا فيها بأمرهما.

(١) يظهر أنه يعنى جبل بركة فى نباطا.

١٤٧ العهدة فيما أسلفت على المصريين أنفسهم. وإنى سأثبت من الآن ما يقرره الآخرون بشأن هذا البلد وكذلك ما يقول به المصريون إذا اتفق مع الروايات الأخرى، وسأضيف إلى هذا شيئا من مشاهداتي الشخصية.

لما حرر المصريون بعد حكم كاهن هيفايستوس، قسموا مصر كلها إلى اثنتى عشرة مقاطعة، ولوا عليها اثنى عشر ملكا (فقد رأوا أنهم لا يستطيعون العيش زمنا بدون ملك) وتزوج هؤلاء فيما بينهم، وحكموا بعد أن قطعوا على أنفسهم العهود بالألا يخلع واحد منهم الآخر، وألا يسعى أحدهم أن يكون له من السلطة أكثر مما لآخر، وأن يكونوا كأحسن ما يكون الأصدقاء. وقد اتخذوا هذه العهود وحافظوا عليها بقوة، لأن الوحي قد جاءهم في أول الأمر بعد أن عينوا للحكم مباشرة، بأن من يسكب القربان منهم من إناء برونزى فى معبد هيفايستوس سيتولى ملك مصر بأسرها. (كانوا يجتمعون فى المعابد كلها الواحد بعد الآخر).

١٤٨ وقرروا أن يخلفوا أثرا لهم مشتركا. فابتنوا تنفيذا لهذا القرار اللابيرنث^(١) الذى يقع فيما وراء بحيرة مويريسس بقليل، فى مواجهة المدينة التى تدعى مدينة التماسيح تقريبا. ولقد رأيت هذا البناء وهو يجلب عن الوصف فلو أن امرأ حشد معرضا للمباني والآثار الفنية التى أخرجها اليونانيون لظهر أنها تقل فى صناعتها ونفقاتها عن هذا اللابيرنث. هذا مع أن معبد أفسوس ومعبد ساموس كلاهما جدير بالوصف، والأهرام كما

(١) هو بناء على شكل حدوة الحصان كان فيما يرجع بالقرب من هرم هواره.

١٤٩ والبحيرة التي تدعى بحيرة مويريس وهي التي بنى بجانبها اللابيرنث، تملأنا عجبا أكثر من اللابيرنث نفسه وهو كما وصفنا. فطول محيطها ٣٦٠٠ ستاد. أو ستون سيخنوسا، وهي مسافة تعادل طول مصر نفسها على ساحل البحر، والبحيرة ممتدة من الشمال إلى الجنوب وعمقها - أعرق ما تكون خمسين باعا، أما إنها صناعية محفورة فأمر جلى، فإنه يقوم فى وسط البحيرة تقريبا هرمان يعلو كل منهما فوق الماء بمقدار خمسين باعا ومثل هذا القدر مبنى تحت سطح الماء، وينتصب فوق كل منهما تثال ضخم من الحجر متبوئا عرشا، وهكذا يكون ارتفاع كل من الهرمين مائة باع، ومائة باع تساوى ستادا واحدا مؤلفا من ستمائة قدم ذلك أن الباع يساوى ستة أقدام، أو أربع أذرع إذ إن القدم أربعة أشبار والذراع ستة أشبار.

والماء فى البحيرة ليس فيها بالطبيعة فهذه الجهات عديمة الأمطار للغاية. والماء مجلوب من النيل بواسطة قناة. وينساب الماء من النيل داخلا فى البحيرة مدة ستة أشهر، وخارجا من البحيرة إلى النيل كرة أخرى مدة ستة أشهر. وفى الأشهر الستة التى ينساب فيها خارجا من البحيرة يورد إلى الخزانة الملكية صيدا بمبلغ طالنط من الفضة كل يوم، ويكون دخل الخزانة حينما يأتى الماء إلى البحيرة عشرين منا فحسب.

١٥٥ وقال أهل البلاد كذلك إن هذه البحيرة تمتد تحت الأرض من جهتها الغربية إلى الأرض الداخية فيما وراء السلسلة الجبلية التى بالقرب من منف، وتصب فى السيرتيس فى ليبيا. وحيث إننى لم أر

الرمال الناشئة عن الحفر فى أى مكان وكان ذلك شغلى الشاغل ، فقد سألت الذين يسكنون بجوار البحيرة مباشرة أين تقع الرمال التى حفرت فقال لى هؤلاء أين نقلت فصدقتهم بسهولة : لأننى كنت قد علمت بالسمع أن مثل هذا قد حدث أيضا فى مدينة نينوى^(١) فى آشوريا . فقد كان ساردانابالوس^(٢) ملك نينوى يملك أموالا طائلة محروسة فى كنوز تحت الأرض ودبر للصوص أن يسرقوها . فبدأ اللصوص من بيوتهم وقدروا المسافة ودأبوا يحضرون صوب القصر الملكى . وكانوا كلما جن الليل يحملون التراب المستخرج من الحفر إلى نهر الدجلة الذى يجرى بجوار نينوى ، إلى أن بلغوا مأربهم . ولقد سمعت أن حفر البحيرة فى مصر كان على ذلك النحو إلا إنه لم يعمل بالليل بل بالنهار . فقد حمل المصريون الأتربة المستخرجة بالحفر إلى النيل ، فابتلعها النيل وألقى بها بعيدا بالطبع .

١٥٩ ظل الملوك الاثنا عشر يصطنعون العدل فيما بينهم زمنا ، وعندما كانوا يضحون فى معبد هيفايستوس حدث فى آخر أيام العيد عندما كانوا يزعمون سكب القربان ، أن أخطأ الكاهن الأكبر عددهم فأحضر لهم الأوانى الذهبية التى كانوا قد تعودوا استخدامها فى سكب القربان ، ولكنه وقد أخطأ عددهم أحضر للاثنى عشر إحدى عشرة آنية .

وحيث إن بسماتيك كان يقف آخرهم ، ولم يكن له إناء ، فقد نزع خوذته وكانت من البرونز وتناول بها خمر القربان وسكبه . وكان سائر

(١) هى عاصمة آشور من سنة ١٣٠٠ ق.م. إلى أن استولى عليها الميديون فى سنة ٦١٢ ق.م.

(٢) هو آشور بانيبال ، ملك آشورى عاش فى القرن السابع ق.م.

الملوك جميعا يلبسون خوذات واتفق أنهم كانوا جميعا يلبسونها في تلك المناسبة. وإذن فلم يكن بسماتيك يصطنع شيئا من المكر عندما استخدم خوذته. وتدبر الملوك الآخرون فيما فعل بسماتيك وفي النبوءة التي أعلمتهم «بأن من يسكب منهم القربان من إناء برونزي سيكون وحده ملك مصر». ولما تذكروا النبوءة لم يستصوبوا قتل بسماتيك، فقد وجدوا بالتحري أنه لم يأت ما فعل بقصد سيئ. وقرروا أن يجردوه من الجزء الأكبر من سلطانه وينفوه إلى المستنقعات، وألا يغادر المستنقعات ولا يتصل بسائر أقاليم مصر.

١٥٢ وكان سباكو الحبشى قد نفى بسماتيك هذا في مرة سابقة، نفاه إلى سوريا بعد أن قتل أباه نيكوس^(١). ولما غادر الحبشى البلاد بسبب الحلم الذى رآه، استرجع المصريون من أهل سايس بسماتيك، فكان من سوء طالعهم أن ينفيه الملوك الأحد عشر مرة ثانية إلى المستنقعات بعد أن أصبح ملكا بسبب الخوذة. وقد أحس أنهم ظلموه ونوى أن ينتقم من مضطهديه. وأرسل إلى وحى ليطوف فى مدينة بوطو حيث يوجد وحى عظيم التصديق عند المصريين. وجاءه الوحى بأن الانتقام سيأتى من ناحية البحر حينما يظهر قوم برونزيون. وتملكه إنكار شديد بأنه سيأتى رجال برونزيون لمؤازرته.

وبعد مضى زمان غير طويل عصف النوء برجال أيونيين وكاريين كانوا قد أبحروا بغية السلب، وطوح بهم إلى مصر. ولما نزلوا إلى البر

(١) هو أبو بسماتيك الأول، كان حاكما من حكام الأقاليم تحت إشراف الآشوريين، وإذا كان ما قاله هيرودوت صحيحا يكون نيكوس قد قتل فى عام ٦٦٣ ق.م عند غزو الأحباش لمصر.

كانوا مدرعين بالبرونز. وذهب واحد من المصريين ولم يكن قد رأى من قبل رجالا مدرعين بالبرونز، وأبلغ بسماتيك أن رجالا برونزيين قد وصلوا من البحر وأنهم ينهبون السهل. أيقن بسماتيك أن النبوءة قد تحققت وعمل على صداقة الأيونيين والكاريين وحاول أن يقنعهم بوعود سخية أن يكونوا في خدمته. ولما أقنعهم غلب الملوك بمساعدة المصريين الذين انضموا تحت لوائه وهؤلاء المرتزقة معا.

١٥٣ لما قهر بسماتيك مصر كلها أقام في منف الصرح الجنوبي لعبد هيفايستوس وابتنى في مواجهة الصرح بهوا لآبيس يحفظ فيه آبيس عندما يتجلى، وهو كله محاط بالأعمدة، ملئ بالرسوم، وتحمله تماثيل ضخمة طول كل منها اثنتا عشرة ذراعا بدلا من أعمدة. وآبيس هو في اللغة اليونانية إبافوس.

١٥٤ وأقطع بسماتيك الأيونيين والكاريين الذين عملوا له أراضى ليسكنوها وكان بعضها في مواجهة بعض، والنيل في منتصفها. وهذه الإقطاعات اتخذت اسم المعسكرات. لقد أقطعهم هذه الأراضى وأعطاهم سائر ما كان قد وعدهم به جميعا، هذا إلى إنه عهد إليهم بصبيان مصريين ليتعلموا اللغة اليونانية. ومن هؤلاء نشأت طائفة التراجمة فى مصر بعد أن تعلموا اللغة اليونانية. ونزل الأيونيون والكاريون هذه الإقطاعات زمنا طويلا وهى تقع ناحية البحر بعد مدينة بوياسطيس بقليل، على فرع النيل المسمى

بالفرع البيلوزى. وبعد زمن ما نقلهم الملك أمازيس^(١) من ذلك المكان وأسكنهم منف وجعلهم حرسه الخاص ضد المصريين. ولما سكن هؤلاء مصر عرف اليونانيون عن طريق الاتصال بهم كل ما ألم بمصر على وجه الدقة ابتداء من عهد بسماتيك وما بعده. ذلك أن هؤلاء أول من سكن مصر من الأجانب. ولقد ظلت في الأراضى التى كانوا قد أجلوا عنها إلى زمانى هذا موائى سفنهم وآثار مساكنهم. وهكذا استقل بسماتيك بمصر.

١٥٥ كثيرا ما ذكرت فيما سبق مهبط الوحى فى مصر. وسأجعل الكلام عليه الآن لأنه جدير بالوصف. مهبط الوحى هذا هو معبد ليطو القائم فى مدينة كبيرة على فرع النيل المسمى بالفرع السبينييتى فى طريقك من البحر إلى داخل البلاد.

واسم تلك المدينة التى يقع فيها الوحى هو بوطو كما أسميتها آنفا. ويوجد فى مدينة بوطو هذه معبد لأبوللو وأرتميس. ومعبد ليطو الذى يقع فى داخله مهبط الوحى له - فضلا عن ضخامته - صرح ارتفاعه عشرة أبواع. وإنى سأصف الآن ما كان أشد إثارة للعجب فى نفسى من بين ما عرضه على.

يوجد داخل أسوار معبد ليطو هذا محراب متخذ من حجر واحد، وهو متساوى الأطوال سواء نظرت إليه من ناحية الارتفاع أو العرض فكل منهما أربعون ذراعا. وسقفه حجر آخر منبسط، له إفريز بارز بمقدار أربع أذرع.

(١) هو أحمس الثانى الذى ولى الملك من سنة ٥٦٩ إلى سنة ٥٢٦ ق.م ويذهب هيرودوت إلى أن عصره هو العصر الذهبى لليونان فى مصر، ولكن الواقع أن أحمس الثانى وصل إلى الحكم نتيجة لحركة قومية مناهضة لنفوذ اليونانيين فى مصر.

١٥٦ هذا المحراب هو أشد ما عرضه على فيما يختص بهذا المعبد إشارة للعجب. وتتلوه الجزيرة التي تدعى جزيرة خميس التي تقع فى بحيرة عميقة واسعة بجوار معبد بوطو، ويسمىها المصريون الجزيرة العائمة. وإننى شخصيا لم أرها عائمة أو متحركة ولكنى عجبت إذ سمعت بأمر جزيرة عائمة حقا. وفى هذه الجزيرة معبد عظيم لأبوللو مبنى فيه ثلاثة هياكل، وينمو فى هذه الجزيرة نخيل كثيف وأشجار أخرى كثيرة بعضها يحمل ثمارا وبعضها لا يحمل ثمارا.

ويروى المصريون هذه القصة تفسيرا لأمر الجزيرة العائمة: فى الزمان الغابر حين كانت الجزيرة ثابتة غير عائمة، كانت ليطو وهى إحدى الآلهة الثمانية الأولى تسكن مدينة بوطو، فى البقعة التى يوجد فيها مهبط وحيها ذاك. وقد استلمت إيزيس من أبوللو وديعة وأنقذت حياته بأن خبأته فى الجزيرة العائمة، حدث هذا فى الوقت الذى كان فيه طيفون يجوب العالم منقبعا يريد أن يجد ابن أوزيرس. (يقول المصريون إن أبوللو وأرتيميس ابنا ديونيسوس وإيزيس، وأن ليطو كانت مربيتهما ومنقذتهما. وفى اللغة المصرية أبوللو هو حورس وديميتير هى إيزيس وأرتيميس هى بوياسطيس. وعن هذه الرواية بالذات أخذ أيسخيلوس^(١) بن إيوفوريون القصة التى سردها لأنه الوحيد دون سائر الشعراء الذين سبقوه الذى جعل أرتيميس ابنة ديمتير). ومن أجل ذلك صارت الجزيرة فيما يقولون عائمة. هذه إذن هى القصة التى يرويها المصريون.

(١) شاعر يونانى عاش من ٥٢٥ ق. م يقال إنه كتب تسعين مأساة. ضاعت ولم يبق منها إلا سبع والمأساة التى اقتبس منها هيرودوت من المأسى الضائعة.

١٥٧ وتولى بسماتيك ملك مصر أربعاً وخمسين سنة، قضى منها تسعاً وعشرين سنة في حصار أزوتوس^(١) حصاراً متواصلاً إلى أن أخذها وهي مدينة كبيرة في سوريا. وقد صمدت أزوتوس هذه بعد حصارها مدة أكبر من كل المدن التي نعرفها.

١٥٨ وولد لبسماتيك ابن هو نيخوس، الذى تولى ملك مصر. وهو أول من حاول شق القناة التى تؤدى إلى البحر الأحمر، وقد أتم حفرها من بعده دارا^(٢) الفارسى. وطول القناة مسافة إبحار أربعة أيام. وقد شقت عريضة إلى حد أن سفينتين من ذوات الصفوف الثلاثة من المجاديف تمخرانها جنبا إلى جنب. ويؤتى بالماء إليها من النيل، يؤتى به من مكان فوق مدينة بوباسطيس بقليل، بالقرب من المدينة العربية باتوموس^(٣). وتمتد القناة من هنا إلى البحر الأحمر. والجزء الأول منها محفور فى الجانب العربى من السهل المصرى. وتتصل بهذا الجانب إلى الشمال من السهل سلسلة الجبال التى تواجه منف والثى تقع فيها المحاجر. وأصغر طريق وأقصره لقطع المسافة من البحر الشمالى إلى البحر الجنوبى الذى يسمى كذلك البحر الأحمر أى من جبال كاسيوس التى تفصل بين مصر وسوريا مسافة ألف ستاد تماما إلى الخليج العربى. هذا هو أقصر طريق، أما الطريق الذى يساير القناة فأطول منه بكثير لأنه أكثر تعرجا. وقد هلك من المصريين فى عهد نيخوس أثناء عملية الحفر مائة وعشرون

(١) هى مدينة أشدود المذكورة فى العهد القديم.

(٢) حكم فارس من سنة ٥٢٢ ق. م وثارى مصر فى عهده على حكم الفرس سنة ٤٨٦ ق. م.

ولكنه مات فى هذه السنة وخلفه أكرزكسيس.

(٣) هى مدينة فيثوم فى العهد القديم.

ألف عامل. وتوقف نيخوس في وسط عملية الحفر إذ أفنته نبوءة تقول إنه ينصب من أجل بربرى. فالصريون يسمون كل من لا يتكلم لغتهم بربريا.

٧٥٩ ولما توقف نيخوس عن حفر القناة انتحى نحو الشاطئ وابتنى سفنا ذات ثلاثة صفوف من المجاذيف، بعضها للبحر الشمالى وبعضها الآخر للبحر الأحمر، ابتناها فى الخليج العربى، ولا زالت مراسيها بادية إلى الآن، وفضلا عن استخدام هذه السفن عند الحاجة فقد اشتبك مع السوريين فى موقعة برية فى ماجدولوس^(١) وهزمهم، واستولى بعد هذه الموقعة على كادييتيس^(٢)، وهى مدينة كبيرة فى سوريا. وأرسل إلى برانخيداي^(٣) فى ميليسيا البرزة التى كان يلبسها أثناء قيامه بهذه العمليات وأهداها إلى أبوللو، وبعد أن حكم ست عشرة سنة بأكملها، توفى تاركا السلطان لابنه بساميس^(٤).

٧٦٥ وفى عهد بساميس جاء إلى مصر سفراء من الإليائيين يفتخرون بأن النظام الذى اتبعوه فى المباريات الأولمبية هو أعدل وأحسن النظم الإنسانية قاطبة. وكانوا يعتقدون أن المصريين وهم أحكم الناس لن يوفقوا إلى شىء يزداد عليه. وأعلن الإليائيون عند وصولهم إلى مصر الأسباب التى حضروا

(١) يظهر أنه يعنى مجدل المذكورة فى العهد القديم وهى على حدود مصر الشرقية، ولكن الموقعة حدثت فى مجدو سنة ٦٠٩ ق.م. ويظهر أن هيرودوت لم يسمع بهزيمة نيخوس على يد نبوخذ نصر فى قرقيش سنة ٦٠٤ ق.م.

(٢) هى مدينة غزة الآن.

(٣) مدينة فى ملطية وكان فيها مهبط لوحى أبوللو. وقد أقام المهبط برانخوس بن أبوللو.

(٤) هو بسامتيك الثانى حكم مصر من سنة ٥٩٣ إلى سنة ٥٨٨ ق.م.

من أجلها. وعندئذ استدعى الملك من يقال إنهم أحكم المصريين. ولما اجتمع المصريون عرفوا مما قاله الإليائيون كل الأنظمة الموضوعة عندهم للمباريات، وبعد أن شرح الإليائيون كل الأنظمة قالوا إنهم جاءوا ليعلموا إذا كان المصريون يستطيعون أن يوفقوا إلى نظام ما عسى أن يكون أعدل منها. وتشاور المصريون وسألوا الإليائيين هل يشترك مواطنوهم في المباريات، فأجاب هؤلاء بأن الاشتراك في المباريات مباح لمن يشاء من الإليائيين ومن سائر اليونانيين على السواء. فقال لهم المصريون إنهم إذ وضعوا هذه القاعدة قد أخفقوا في تحقيق العدل الشامل. ذلك بأنه لا توجد وسيلة لا يحابون بها مواطنهم إذا اشترك في المباريات، وبذلك يظلمون الأجانب، ولكنهم إذا أرادوا أن يحكموا بالعدل وكان ذلك سبب مجيئهم إلى مصر فليأمرؤا بأن تقام المباريات بين المتبارين من الأجانب، وألا يسمح لإليائي واحد بالاشتراك فيها. تلك هي النصيحة التي أسداها المصريون إلى الإليائيين.

١٤٦ تولى بساميس ملك مصر ست سنوات فحسب، وتوفي بعد تسيير حملة على الحبشة مباشرة، وخلفه على العرش أبريس^(١) بن بساميس. وحكم هذا خمسة وعشرين عاما سير فيها جيشا ضد صيدا، واشتبك في موقعة بحرية مع ملك صور. ولما كتبت عليه أن يصيبه الضرر، أصابه نتيجة لحادثة سأشرحها بالتطويل في تاريخ ليبيا. وسأتناولها باختصار في هذا الكتاب. أرسل أبريس جيشا عظيما صد القورينائيين فأدرسته مصيبة عظيمة. وسخط المصريون لذلك وثاروا عليه، فقد رأوا أن أبريس قد أرسل بهم إلى هلاك محقق حتى إذا هلكوا تيسر له أن يحكم

(١) هو الفرعون خفرع المذكور في العهد القديم وقد حكم مصر من ٥٨٨ - ٥٦٦ ق.م.

بقية المصريين بمزيد من الأمن وسخط الذين رجعوا، وأصدقاء الذين هلكوا لهذه التصرفات، وثاروا عليه علانية.

١٦٢ ولما درى أبريس بذلك أوفد إليهم أمازيس ليتحدث إليهم ويثنيهم عن عزمهم. وجاء هذا إليهم ساعيا إلى منع المصريين من إتيان هذا الأمر. وفيما هو يتحدث إليهم وقف واحد من المصريين وراءه، ووضع خوذة على رأسه وبعد أن وضعها قال إنه إنما وضعها ليجعل منه ملكا. ولم يكن هذا التصرف من غير المرغوب فيه على الإطلاق لديه كما ظهر من سلوكه. ذلك بأنه بعد أن نصبه الثوار المصريون ملكا مباشرة، بدأ يجهز حملة ضد أبريس. فلما علم أبريس بذلك أوفد إلى أمازيس رجلا فاضلا من أفراد حاشيته المصريين اسمه باتاربيميس وأمره أن يحضر أمازيس إليه حيا. فلما جاء باتاربيميس نادى أمازيس. واتفق أن كان أمازيس ممتطيا صهوة جواده، فكشف له عن عورته قائلا له خذها إلى الملك. وبالرغم من ذلك، فقد توسل إليه باتاربيميس أن يذهب إلى الملك الذي أرسل في طلبه. فأجابه هذا قائلا إنه كان يعد العدة للقيام بهذا الأمر منذ أمد بعيد، ولن يخيب ظن أبريس فيه، لأنه سيحضر شخصيا وسيحضر معه قوما آخرين. وقد بانث نيته لباتاربيميس من أقواله ومما رأى من العتاد، فرجع مسرعا ليوقف الملك بأسرع ما يستطيع على ما يجرى. فلما وصل إلى أبريس دون أن يحضر أمازيس استشاط هذا غضبا. ولم يعط له فرصة للكلام بل أمر بأن يجده منه الأنف وتصلم الأذن. ولما رأى سائر المصريين الذين كانوا لا يزالون على ولائهم لأبريس

أعظم الرجال بينهم يعامل على هذا النحو من الامتهان المذرى، انضموا إلى الآخرين دون أن يترددوا لحظة واحدة، ووضعوا أنفسهم رهن مشيئة أمازيس.

١٦٣ ولما علم أبريس بهذه الأمور أيضا، سلّح جنوده المرتزقة وقادهم ضد المصريين، ولقد كان تحت إمرته ثلاثون ألف جندي مرتزق من الكاريين والأيونيين، وكان قصره الضخم الباهر في مدينة سايس. كان أنصار أبريس إذن يسيرون ضد المصريين، أما أنصار أمازيس فقد كانوا يسيرون ضد الأجانب واجتمع الفريقان كلاهما في مدينة مومفيس وكانا على وشك الاشتباك.

١٦٤ وهناك سبع طبقات من المصريين، تدعى طبقة الكهنة، والمحاريين ورعاة البقر، ورعاة الخنازير، والتجار والتراجمة والملاحين. هذه هي طبقات المصريين. وأسمائها مشتقة من حرفها. أما المحاربون فيسمون كالاسيربيس وهموتوبيس وهم من المقاطعات الآتية فمصر بأسرها مقسمة إلى مقاطعات.

١٦٥ مقاطعات الهرموتوبيس إذن هي مقاطعات بوباسطيس وسائس وخميس وبابريميس ومقاطعة الجزيرة التي تدعى بروسوبيثيس ونصف ناثو. الهرموتوبيس يأتون من هذه المقاطعات، وهم يبلغون إذا بلغوا أقصى عددهم مائة وستين ألفا، ولا يجيد أحد منهم حرفة ما، بل هم عاكفون على الجندية.

١٦٦ أما مقاطعات الكلاسيربيس فغير هذه، وهي مقاطعة طيبة وبوباسطيس وأفثيس وتانيس ومنديس وسينيتوس وأثريبيس وقاربايثيس

وثوميس وأنوفيس وأنوسيس ومويكفوريس. وهذه المقاطعة الأخيرة تقع تجاه مدينة بوباسطيس. وبلغ الذين يأتون من مقاطعات الكالاسيربيس، إذا بلغوا أقصى عددهم مائتين وخمسين ألف رجل. ولا يسمح لهؤلاء بالتدرب على أية حرفة، بل يتدربون على الجندية فحسب. ويخلف فيهم الولد أباه.

١٢٧ ولا أستطيع أن أقضى على وجه التحقيق فيما إذا كان اليونانيون قد أخذوا هذا التقليد أيضا عن المصريين أم لا، ولكني ألاحظ أن التراقيين والإسكيثيين والفرس والليديين وكل البرابرة كذلك تقريبا يعتبرون المواطنين الذين يتخذون حرفا ممتهنيين هم وأولادهم. أما الذين يترفعون عن الأعمال اليدوية وخصوصا الذين ينصرفون إلى الجندية فيعتبرونهم نبلاء. ومهما يكن من شيء فقد تعلم اليونانيون كلهم هذا وخصوصا اللاقيديمونيون. أما الكونثيرون فهم أقل اليونانيين ازدياء للصناع.

١٢٨ وطبقة المحاربين هي الطبقة الوحيدة في مصر - فيما عدا الكهنة - التي تتمتع بامتيازات، فيوهب كل فرد منها اثني عشر فدانا معفاة من الضرائب (الفدان المصرى مربع طول كل ضلع من أضلاعه مائة ذراع مصرى. واتفق أن الذراع المصرى يساوى الذراع الساموسى). وكان الجميع يتمتعون بهذا الامتياز. أما الامتيازات التالية فيتمتعون بها بالدور ولا يتمتع بها واحد بالذات مرتين أبدا. يؤلف ألف من الكالاسيربيس مع ألف آخرين من الهرموتوبيس حرس الملك كل عام. وكان هؤلاء يمنحون كل يوم إلى جانب الفدادين مقدارا من الخبز المخبوز زنته خمسة «من»

لل فرد ، و«منان» من لحم العجول وأربعة أقداح من النبيذ. كانت هذه الامتيازات تمنح للذين يؤلفون الحرس الملكي في كل مرة.

١٦٩ وعندما وصل أبريس على رأس الجنود المرتزقة وأمازيس على رأس المصريين كلهم إلى مدينة موميقيس، تقابلا والتحما في موقعة. وأبلى الأجنب بلاء حسنا، وكانوا يقتلون عن خصومهم عددا بكثير، ولذلك هزموا. ويقال إن أبريس كان يعتقد أنه لا يوجد إله ما يستطيع أن يحرمه من الملك. ولكنه عندما اشتبك في الموقعة هزم وأسر وسيق إلى مدينة سايس، إلى القصر الذي كان فيما مضى قصره، وأصبح الآن قصر أمازيس. وهناك استضيف في القصر وعامله أمازيس معاملة حسنة. وأخيرا تدمر المصريون وقالوا إن أمازيس لا يلتزم جانب العدل باستضافة أعدى حدوهم وعدوه. وهكذا سلم أبريس إلى المصريين فشنقه هؤلاء ثم دفنوه في مقبرة آبائه وهي في معبد آثينة في ملاصقة المحراب الذي يقع إلى يسار الداخل. ولقد دفن أهل سايس كل الملوك الذين نشأوا في هذا الإقليم في داخل المعبد. ومقبرة أمازيس أبعد عن المحراب من مقبرة أبريس وأسلافه، ولكنها هي الأخرى على أية حال في ساحة المعبد، وهي عبارة عن رواق كبير من الحجر مزين بأعمدة تحاكي شجر النخيل، وبسائر الزخارف الغالية. ويوجد في الرواق من الداخل بابان منفصلان، ووراء هذين البابين القبر.

١٧٥ ويوجد كذلك في سايس في حرم معبد آثينة قبر لا اعتقد أن من التقى أن أذكر اسمه في هذا الصدد. والقبر قائم وراء الهيكل ويشغل

كل الحائط الخلفى لمعبء آئينة. ووقوم فى حرم المعبد كذلك مسلتان ضخمتان من الحجر، وىوؤء بؤوارهما بؤيرة مزينة بحافة من الحجر، وهى مهياة على وؤه حسن على شكل ءائرة، ومساحتها تعاءل فىما ىؤيل إلى مساحة البؤيرة التى تسمى «البؤيرة المسءيرة» فى ءىلوس.

وفى هؤه البؤيرة يقوم المصرىون باللىل بتمثىل آلامه التى ىسمىها المصرىون أسراراً. وبالرؤم من معرفتى التامة بكل من هؤه المراسم فىانى سألتزم الصمت الخاشع بشأنها. أما فىما ىتعلق بعىء ءىمىتىر الذى ىسمىه اللىونانىون شموفورىاً^(١) فسألتزم الصمت الخاشع بشأنه أىضاً إلا فىما ىمكننى أن أصفه من مراسمه. وبنات ءناؤس هن اللائى أءءلن هؤا العىء من مصر، وعلمنه للنساء اللبىلاسىات. ولكنّه ضاع بعء ذلك عءما أؤلى ءناؤس عن البىلوبونىز بأسره على ىء ءورىىن. واحفظ به الأركاءىون وءءهم لأنهم هم الذىن بقوا من البىلوبونىزىىن، ولم ىؤلوا عنه.

وبعء أن قُتل أبرىس على هؤا النؤو ءولى أمازىس الملك، وكان ىنتمى إلى مقاطعة ساىس. أما المءىنة التى نشأ منها فإسمها سىوف. ولقء ازءراه المصرىون أول الأمر ولم ىقىموا له وزنا على الإءلاق. لأنه كان من قبل من عامة الشعب، ولم ىنءءر من بىء شهىر. واسترضاهم أمازىس فىما بعء بحكمة ولطف. فقء كانت عءه ءحف مؤءلفة لا ءحصى من بىئها طست ءهبى لغسل الأءام كان أمازىس نفسه وضىوفه ءمىعا ىغسلون فىه أءامهم فى بعض الأحيان، فكسره وصنع منه ءمئالا

(١) هو عىء ءىمىتىر المقننة، كانت الآئىنات ىؤىبنه فى الخرىف.

لإله وأقامه في أنسب مكان من المدينة. وجعل المصريين يتوجهون للتمثال ويعظمونه تعظيما كبيرا. ولما علم أمازيس بسلوك أهل المدينة هذا. استدعى المصريين وبيّن لهم أن التمثال متخذ من طست، وأن المصريين كانوا فيما مضى يتقيئون في الطست ويغسلون فيه أقدامهم، وهم الآن يخشعون له خشوعا عظيما. ثم مضى في حديثه قائلا إن أمره مثل أمر الطست، فإنه كان حقا فيما مضى من عامة الشعب ولكنه الآن ملكهم، وأمرهم بتعظيمه وتبجيله. وبهذه الطريقة استرضى المصريين حتى قبلوا الخضوع له.

وكانت شئونه اليومية منظمة على هذا النحو. يصرّف باجتهاد ما يُعرض عليه من شئون من الصباح المبكر إلى وقت اكتظاظ السوق، ومن ذلك الوقت يشرب ويمزج مع خلانه ويكون ماجنا عابثا. وضاق أصدقاؤه بهذا السلوك ولاموه قائلين «أيها الملك إنك لا تحكم نفسك بطريق الصواب، إذ إنك تدفعها إلى هذا العبث الشديد، وينبغي لك أن تجلس مهيبا على عرش مهيب، وتصرّف شئون الدولة طوال النهار، فعندئذ فقط يعلم المصريون أن رجلا عظيما يحكمهم، فيكون له صيت أبعد بينهم. أما الآن فإن ما تفعله لا يليق بملك على الإطلاق». فأجابهم أمازيس قائلا «إن أصحاب الأقواس إذا احتاجوا إلى استعمالها شدوها، فإذا فرغوا من استعمالها أرخوها. لأنها إذا ظلت طوال الوقت مشدودة انقطعت فلا يستطيع أصحابها استعمالها في وقت الحاجة. وهذا شأن طبيعة الإنسان تماما. إذا أراد أن يكون جادا دائما ولم يسمح لنفسه باللهو

بعض الوقت فإما أن يجن دون أن يشعر أو يصبح مخبولا. وإنى أعلم هذه الحقيقة ولذلك أفرد جزءا من وقتى لكل من الأمرين». هكذا أجاب أصدقاؤه.

١٧٤ ويقال إن إمامزيس كان محبا للخمر والمزاح حتى حينما كان فردا من عامة الشعب. وكان كلما أعوزته ضرورات الحياة من جراء سكره ومجونته، يطوف بالمدن وينهب الناس. وكان الناس يتهمونه بأنه هو الذى سطا على ممتلكاتهم، وكانوا عندما ينكر يسوقونه إلى أقرب وحى إليهم وكثيرا ما أدانه الوحى وكثيرا ما برأه أيضا. ولما تولى الملك تصرف كما يأتى: لم يأبه لمعابد تلك الآلهة التى أفتت بأنه برىء. ولم يهب لها شيئا لإصلاحها ولم يزرها للتضحية، لأنه اعتبرها غير أهل لشيء وكاذبة النبوءات. أما الآلهة التى أفتت بأنه سارق فقد عنى بها أشد العناية باعتبار أنها آلهة حقا تصدر نبوءات صادقة^(١).

١٧٥ وابتنى أولا صرحا رائعا لمعبد آثينة فى سايس يفضل جميع الصروح بكثير من ارتفاعه وضخامته كما يفضلها فى ضخامة أحجاره ونوعها، ثم أقام تماثيل ضخمة وآباء هول ماردة، وأحضر فضلا عن ذلك حجارة بالغة الضخامة للترميم، أحضر بعضها من مقالع الأحجار التى فى منف وبعضها الآخر المفرط الضخامة من مدينة الفنتين وهى على مسافة إبحار عشرين يوما من سايس. وأشد ما استرعى عجبى من هذه الأحجار، حجر هذا وصفه: حُجرة من حجر واحد أرسله من مدينة الفنتين، وقد أحضره فى ثلاث سنوات، واستخدم فى جرّه عشرين ألف عامل، كلهم

(١) وجدت قصة تصور حب أمازيس للخمر فى ورقة بريدية ديموطيقية من ذاك العصر.

من طبقة الملاحين ، وطول هذه الحجرة من الخارج إحدى وعشرون ذراعاً ، وعرضها أربع عشرة ذراعاً ، وارتفاعها ثمانى أذرع . هذه هى الأبعاد الخارجية للحجرة المكونة من حجر واحد أما من الداخل فطولها ثمانى عشرة ذراعاً وعشرون إصبعا وعرضها اثنتا عشرة ذراعاً وارتفاعها خمس أذرع . وهى تقع بجانب مدخل المعبد ويقولون إنها لم تحسب إلى الداخل لهذا السبب : كان رئيس البنائين يسحب الحجر فتنهذ لطول ما استغرق العمل من وقت ولأنه ناء بالعمل فتوجس أمازيس ولم يسمح بسحبها إلى أبعد مما وصلوا بها . هذا ويذهب البعض إلى أن واحداً من الذين كانوا يرفعونها تهشم تحتها ، ولذلك لم تحسب إلى داخل المعبد .

❧ وأقام أمازيس كذلك فى سائر المعابد المهمة كلها نصباً جديدةً بالمشاهدة لضخامتها ، منها تمثال ضخم ملقى على ظهره أمام معبد هيفايستوس ، طوله خمسة وسبعون قدماً . ويقوم على قاعدة هذا التمثال نفسها تمثالان ضخمان من الحجر الحبشى ، كل منهما حججه عشرون قدماً وكل منهما فى أحد جانبيه التمثال الكبير . وهناك تمثال آخر حجرى بهذا الحجم فى سايس ملقى مثل التمثال الذى فى منف . وأمازيس هو بانى معبد إيزيس فى منف ، وهو كبير الحجم ، يستحق المشاهدة كل الاستحقاق .

❧ ويقال إن مصر كانت فى عهد أمازيس شديدة الرخاء ، وذلك من حيث ما يصيب الأرض من النيل وما يصيب الناس من الأرض جميعاً ، وأنه كان فيها فى ذلك العصر ألف مدينة عامرة على الجملة .

وأما زيس هو الذى وضع للمصريين هذا القانون الذى ينص على أنه على كل فرد من المصريين أن يبين كل سنة لحاكم الإقليم مورد عيشه. فإذا لم يفعل ولم يثبت أن له مورد عيش حلال عوقب بالموت. ولقد أخذ صولون^(١) الآثيني هذا القانون عن مصر ووضعه للآثينيين وهم يعملون به إلى الآن، فهو قانون لا عيب فيه.

١٧٨ وصار أمازيس محبا لليونانيين، ومنح بعضهم امتيازات أهمها أنه منح الذين هاجروا إلى مصر نوقراطيس ليسكنوها، أما الذين لم يشاءوا منهم سكنها، وكانوا يزورونها فقط. فقد وهبهم أراضى ليبنوا عليها هياكل ومعابد لآلهتهم. وأعظم هذه المعابد وأشهرها وأكثرها زوارا هو الهيلينيوم فقد ساهمت فى بنائه هذه المدن: خيوس، وتيوس، وفوكايا، وكلازوميناى من المدن الأيونية، ورددس، وكنيدوس، وهاليكارناسوس، وفاسيليس من المدن الدورية، ومدينة أيوليه واحدة هى ميتيلينى. هذا المعبد إذن تابع لهذه المدن، وهى التى تعين موظفى الميناء التجارية. أما المدن الأخرى التى تدعى نصيبا لنفسها فيه، فهى تدعى شيئا ليس لها فيه نصيب. وانفرد أهل إيجينا ببناء معبد خاص بهم لزيوس، وابتنى الساموسيون معبدا لهيرا، والملطيون معبدا لأبوللو.

١٧٩ وكانت نوقراطيس فى العصر القديم الميناء التجارية الوحيدة ولم يكن فى مصر ميناء غيرها. فإذا رسى أحد فى أى فرع آخر من فروع النيل تحتتم عليه أن يقسم أنه لم يأت راضيا ثم بعد أن يقسم عليه (١) الشرع الآثيني، عاش من ٦٤٠ - ٥٥٨ ق.م. وكان حاكما فى أثينا سنة ٥٩٤ ق.م. فلا يمكن أن يكون قد اقتبس تشريعاته من قوانين أمحس الذى صار ملكا سنة ٥٦٩ ق.م.

أن يبهر بمركبه وما عليها إلى الفرع الكانوبى ، فإذا استحال الإبحار لهبوب رياح مضادة وجب عليه أن ينقل حمولة سفينته فى قوارب حول الدلتا إلى أن يصل إلى نوقراطيس ، وهكذا كانت لنوقراطيس مكانة ممتازة.

١٣٥ ولما تعاقد الأمفيكتيونيون^(١) على بناء المعبد القائم الآن فى دلفى بمبلغ ثلاثمائة طالنت، إذ تصادف أن احترق المعبد الذى كان فى مكانه فيما سبق، وتعين على أهل دلفى أن يؤدوا ربع المبلغ المتعاقد عليه ، طفقوا يزورون المدن ، وجمعوا فى هذه الزيارات من مصر لا أقل مما جمعوا من البلدان الأخرى ، ذلك أن أمازيس وهبهم ألف طالنت من الشب، وأعطاهم اليونانيون المقيمون فى مصر عشرين منا.

١٣٦ وعقد أمازيس معاهدة صداقة مع القورينائيين وشاء أن يتخذ زوجة منهم ، وذلك إما لأنه اشتهى زوجا يونانية أو من أجل صداقته للقورينائيين. مهما يكن من شىء فقد تزوج من ابنة باتوس بن أركيسيلوس فى قول البعض وابنة كريتوبولوس وهو مواطن شهير فى قول البعض الآخر، وكان اسمها لاديكى. ولما جاء أمازيس لإتيانها لم يجد فى نفسه قدرة على ذلك ، مع أنه كان قادرا على إتيان نسائه الأخريات. ولما تكرر ذلك كثيرا خاطب الملك زوجه لاديكى قائلا «أيتها المرأة، إنك قد سحرتنى ولاشك، فتيقنى الآن أنك لابد ستهلكين أشنع مما هلكت امرأة من قبل». واحتجت لاديكى عبثا ببراءتها، ولكن

(١) الكلمة معناها «المجاورون» وهو اسم حلف من المدن الواقعة فى الشمال الشرقى من

أمازيس لم يلن وءنءنء نءرت فى سرها لأفروءىء أنها إذا ضاوءت زوءها فى الليلة المءبلة - إذ لم يكن قء بقى لها من الوءقء أءئر من ذلك - فإنها سءهى الإلهة ءمءالا فى قورينة. وءامعها أمازيس بعء صلاءها مباءرة؁ ومنء ذلك الءىن كان ياءىها كلما ضاوءها. وأصبع أمازيس يءبها ءبا شءىءا منذ ذلك الءىن. ووءء لاءىكى بنءرها؁ فأمرء بصنع ءمءال وأرسلءه إلى قورينة. ولازال الءمءال إلى يومنا هذا قائما مسءءبرا بوءهة المءىنة وءءها إلى الءارء. أما عن لاءىكى نفسها فإنه عنءما عزا قمببب مصر وعلم من هى أرسلها إلى قورينة ءون أءى.

❦ وأرسل أمازيس أيضا نعبا إلى بلاد الءىونان؁ فأرسل إلى قورينة ءمءالا لآءىنة مكسوا بالءهب؁ وصورة له مرسومة؁ وأرسل إلى آءىنة فى لىنءوس ءمءالين من الءر ومشءا للصر من الءكءان كلها ءءىرة بالمشاهءة. وأرسل كذلك إلى ساموس باسم هىرا ءمءالين لنفسه من الءشب لا يزalan قائمىن فى المعبء الكبىر وراء الأبواب إلى زمانى هذا. وأرسل الءءاىا إلى ساموس ءعزىزا لصلاء الوء بىنه وبىن بولىقراطىس^(١) ابن أىاكىس. ولىس من أجل صلاء وء ما أرسله إلى لىنءوس؁ بل لأن معبء آءىنة فى لىنءوس كان قء ابءناه فىما يقال بناء ءناؤس ءىنما ءططن هناك أثناء هربهن من وءه أبناء اىءىءبوس. هذه هى الءءاىا الءى قرءها أمازيس وهو أول من اسءولى على قبرىص وأءضعها وفرض عليها الءزىة.

(١) هو طاغىة ساموس؁ ءكمها من سنة ٥٣٢ إلى سنة ٥٢٢ ق.م. وأنشأ أسطولا بءرىا عظمىا؁ سىطر به على الءزر المءاورة له؁ ووءء الصءاقة بىنه وبىن أءمس.

أسماء المدن

المدينة	رقم الفصل	الموقع الآن
أتاربيخيس	٤	مدينة في الدلتا في إقليم بروسوبيس
أثربيس	١٦٦	تل أثرب بالقرن من بنها
أرخاندروس	٩٨ ، ٩٧	مدينة في الدلتا بين الفرع الكانوبي ونوقراطيس
إريثرابولوس	١١١	الجبل الأحمر
أسوان	٢٨	أسوان
أفتيس	١٦٦	موقعها غير معروف
إلبو	١٤٠	جزيرة في الدلتا موقعها غير محقق
الفنتين	١٧٥ ، ٦٩ ، ٣١ ، ٢٨ ، ١٨ ، ١٧	جزيرة الفنتين في مقابلة أسوان
أنثيلا	٩٨ ، ٩٧	مدينة بين الفرع الكانوبي ونوقراطيس
أنيسيس	١٣٧	تل بليم شمال غرب القنطرة
أونوفيس	١٦٦	تل بلال في الجنوب الغربي من دكرنس
بايريميس	١٦٥ ، ٧١ ، ٦٣ ، ٥٩	قد تكون جزءا من تل الفرما
باتوموس	١٥٨	تل المسخوطة بالقرب من أبي صوير
بواسطيس	١٥٨ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ٦٧ ، ٦٠ ، ٥٩	تل بسطة بالقرب من الزقايق
بوطو	١١١ ، ٨٣ ، ٦٧ ، ٦٣ ، ٥٩ ، ١١٣ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٢ ، ١١٣	كوم الفراعين بالقرب من إبطو
بوسيريس	٥٩	أبوصير بابا جنوب سمود
بيلوزيوم	١٤١ ، ١٥	تل الفرما
تائيس	١٦٦	سان الحجر
ثمويس	١٦٦	تل تماي الأמיד
خميس	١٥٦	جزيرة بالقرب من بوطو
خميس	١٦٥ ، ٩١	أخميم
دقناى	١٠٧ ، ٣٠	كوم دفنا، غرب القنطرة

سايس	٢٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ١٣٠	صا الحجر
	١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥	
	١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦	
سبينيتوس	١٦٦	سمنود
سيوف	١٧٢	مدينة في مقاطعة سايس
طيبه	٣ ، ٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧	الأقصر
	٦٩ ، ١٤٣	
فاريثوس	١٦٦	هوربيط شمال شرق الزقازيق
كانوبوس	١٥ ، ٩٧	كوم سمعدى في الشمال الشرقي من الإسكندرية
كركاسورس	١٥ ، ١٧ ، ٩٧	قد تكون الوراق
ماريا	١٨ ، ٣٠	على شاطئ مربوط تجاه مقام سيدى كيرير
مدينة التماسح	١٤٨	مدينة الفيوم
منف	٢ ، ٣ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ -	ميت رهيئة
	١٤ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١١٣	
	١١٤ ، ١١٥ ، ١١٩	
	١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤	
	١٥٨ ، ١٧٥ ، ١٧٦	
منديس	١٦٦	تل الربع
موممفيس	١٦٣ ، ١٦٩	كوم أبوبيلو
ميكفوريس	١٦٦	موقعها غير معروف
نوقراطيس	٩٧ ، ١٣٥ ، ١٧٨ ، ١٧٩	كوم جيف بالقرب من نقراش
نيابوليس	٩١	المنشاة
هرمبوليس	٦٧	الأشمونين
هيليبوليس	٣ ، ٧ - ، ٩ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٣	الانظرية

أسماء الآلهة

الإله في المصرية	رقم الفصل	الإله في اليونانية
نيث	١٥٣	إيافوس
حورس	١٧٨ ، ١٥٩	أبوللو
نيث	٢٨ ، ٥٩ ، ٨٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٢	آثينة
باسط	٥٩ ، ٦٠ ، ٨٣ ، ١٣٧ ، ١٥٦	أرتيميس
شو	٨٣ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٥٩	آريس
هاتور	٤١	إيو
مين	٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٦	بان
مين	٩١ ، ١٥	برسيوس
إيزيس	١٧١ ، ١٥٦ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ٥٩	ديميتر
أوزيريس	٤٩ ، ٤٧ ، ٤٢ ، ٢٩ ، ٥٢ ، ١٤٤ - ١٤٦	ديونيسوس
آمون	١٣ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ١١٦ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٧٨ ، ١٨٢	زيوس
نخبت	٤٧	سيليني (القمر)
ست	١٥٦ ، ١٤٤	طيفون
بوتو	١٥٥ ، ١٥٢ ، ٨٣ ، ٥٩ ، ١٥٦	ليطو
خنسو	٣٣ ، ٤٢ - ٤٤ ، ٨٣ ، ١١٣	مرقل
توت	١٤٥ ، ١٣٨ ، ٥١	هرمس
رع أو آتوم	٧٣ ، ٥٩	هيلبوس (الشمس)
بتاح	٣ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢١	هيفايستوس
	١٣٦ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٧٦	

المقاييس

القــــــــدم = ٠,٣٠٨٨ من المتر أو ١٢,١٦ من البوصة
 ذراع^(١) = $١ \frac{١}{٢}$ قدم = ٠,٤٦٣٢ من المتر
 بــــــــــــــــاع = ٦ أقدام = ١,٨٥٣ متراً
 بليثــــــــرون = ١٠٠ قدم = ٣٠,٨٨ متراً
 ســــــــــــــــاد = ٦٠٠ قدم = ١٨٥,٣ أمتار
 فرسخ = ٣٠ سناد = ٥,٥٦ كيلومترا
 سخينــــــــسوس = ٦٠ سناد = ١١,١٢ كيلومتراً
 رحلة يوم برأً = ١٥٠ سناد = ٢٨ كيلو متر تقريباً
 رحلة يوم بحرأً = ٧٠٠ سناد = ١٣٠ كيلو متر تقريباً
 رحلة ليلة بحرأً = ٦٠٠ سناد^(٢) = ١١١ كيلو متر تقريباً

النقد

الــــــــمن = ١٠٠ دراحمة
 طــــــــالنت = ٦٠ منأً = ٢٤٠ جنيهاً تقريباً
 وهذه كانت تستعمل بهذه النسب كموازن، والمن (وزن) = $١ \frac{١}{٢}$ رطلا.

(١) الذراع المصرية تساوى ٠,٥٢٥ من المتر وهى تساوى بالنسبة إلى الذراع الأوليمبية ١٧ إلى ١٥ وهذه هى الذراع التى كان المصريون يستعملونها فى مساحة الأرض وقياس ارتفاع النيل.
 (٢) وهذا يساوى خمس عقد بحرية تقريباً. السناد فى البحر يساوى نصف دقيقة عرض أو $\frac{١٠٠}{٦}$ من درجة العرض.

فهرس

إسبرطة ١١٣ ، ١١٧	إبافوس ١٥٣
أسماخ ٣٠	أبريس ١٦١ ، ١٦٩
أسوان ٢٨	أبوللو ١٥٩ ، ١٧٨
آسيا ١٦ ، ١٧ ، ١٠٣ ، ١١٧	أبومنجل ٧٥ ، ٧٦
أسيخيس ١٣٦	أبيس ١٨ ، ١٥٣
آشور ١٧	أتابيخيس ٤١
آشوريون ١٧ ، ٣٠ ، ١٤١ ، ١٥٠	أثريبيس ١٦٦
أفتيس ١٦٦	أثينا ٥١
أفروديت ٤١ ، ١١٢ ، ١٨١	آثينة ٢٨ ، ٥٩ ، ٨٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٢
أفروديسوم ١١٢	آثينيون ٥١ ، ١٧٧
إفسوس ١٠ ، ١٤٨	أحباش ٣٢ ، ٣٩ ، ١٤٠ ، ١٣٧ - ١٤٠
أكرنانيا ١٩	أخاثيون ١٢٠
البحر الأحمر ٨ ، ١١ ، ١٠٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩	أخيلوؤس ١٠
إلبو ١٤٠	أخيناديس ١٠
الإسكندر ١١٣ - ١١٧	أرتميس ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٣ ، ١٣٧ ، ١٥٦
الخليج العربي ١١ ، ١٠٢ ، ١٥٨	أرخاندروس ٩٧ ، ٩٨
إلفنتين ٩ ، ١٧ ، ٢٨ ، ٦٩ ، ١٧٥	أرخيديكي ١٣٥
الطمي الأحمر ١١١	أركاديس ١٧١
ألكمينة ٤٣ ، ١٤٥	أريس ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٨٣
إلياثيون ١٦٠	أزوتوس ١٥٦
إلياذة ١١٦ ، ١١٧	أسارحادون ٣٢ ، ٣٣

ایستریا ۳۳	آمازیس ۱۰۴ ، ۱۶۱ - ۱۶۳ ، ۱۶۹ ،
ایو ۴۱	۱۷۲ ، ۱۷۶ ، ۱۸۲
ایوفوریون ۱۵۶	آمفیتریون ۴۳
ایونیه ۱۰۶	آمفیکتیون ۱۸۰
ایونیون ۱ ، ۱۵ - ۱۷ ، ۶۹ ، ۱۰۲ ،	آمون ۴۲ ، ۵۵
۱۷۸ ، ۱۵۴	آمونین ۳۲ ، ۳۳ ، ۴۲
بابل ۱۰۹	آمیرتایوس ۱۴۰
بابریمیس ۵۹ ، ۶۳ ، ۱۶۵	آنتیلا ۹۷ ، ۹۸
باتاریمیس ۱۶۲	آنیسیس ۱۳۷ ، ۱۴۰ ، ۱۶۶
باتوموس ۱۵۸	آودیسیه ۱۱۶
بان ۴۶ ، ۱۴۵ ، ۱۴۶	آوروبا ۱۶ ، ۲۶ ، ۳۳ ، ۱۰۳
بحر ایجه ۹۷ ، ۱۱۳	آورفیه ۸۱
برانخیدای ۱۵۹	آوزوس ۱۴۴
بردی ۷۳ ، ۹۲	آوزوریس ۴۲ ، ۴۷ ، ۴۸ ، ۱۲۳ ،
برسیوس ۱۵ ، ۹۱	۱۴۴ - ۱۴۶ ، ۱۵۶
بروتیوس ۱۱۲ - ۱۲۱	آوقیانوس ۲۱ ، ۲۳
بروسوبیتیس ۴۱ ، ۱۶۵	آونوفیس ۱۶۶
برومیس ۱۴۳	ایادمون ۱۳۴
بریاموس ۱۲۰	ایتیارخوس ۳۲ ، ۳۳
بسامیس ۱۶۰	ایسوبوس ۱۳۴
بسماتیک ۲ ، ۲۸ ، ۳۰ ، ۱۵۱ -	ایزیس ۴۱ ، ۴۲ ، ۵۹ ، ۶۱ ، ۱۲۲ ،
۱۵۸ ، ۱۵۷ ، ۱۵۵	۱۲۳ ، ۱۵۶ ، ۱۷۶
بط ۷۷	ایستر (الطونه) ۲۶ ، ۳۳ ، ۳۴

تینداروس ۱۱۲	بقرة ۱۸ ، ۴۱ ، ۱۲۹ - ۱۳۲
تیوثرانیا ۱۰	بلاد العرب ۸ ، ۱۲ ، ۱۵ ، ۱۹ ،
تیوس ۱۷۸	۷۳ ، ۷۵ ، ۱۲۴
تیوکیون ۱۱۸	بلاد اليونان ۴۴ ، ۵۰ ، ۵۶ ، ۹۱ ،
ٹاسوس ۴۴	۱۰۴ ، ۱۱۴ ، ۱۳۵ ، ۱۸۲
ٹرمودون ۱۰۴	بلینٹی ۶
ٹسموفوریا ۱۷۱	بویاسطیس ۴۹ ، ۵۹ ، ۱۳۷ - ۱۵۶ ،
ٹعبان ۷۴ ، ۷۵	۱۶۶
ٹمویس ۱۶۶	بوطو ۵۹ ، ۶۳ ، ۶۷ ، ۷۵ ، ۸۳ ،
ٹمیس ۵۰	۱۱۱ ، ۱۳۳
ٹونیس ۱۱۳ ، ۱۱۴	بوسیریس ۴۰ ، ۵۹ ، ۶۰ ،
جورجو ۹۱	بوزیدون ۴۳ ، ۵۰ ،
حبشہ ۱۱ ، ۲۸ ، ۳۰ ، ۱۱۰ ، ۱۱۴ ،	بولیبتی ۱۷
۱۶۱ ، ۱۴۶ ، ۱۳۹	بولیدامنا ۱۱۶
حرف ۱۶۴	بولیقراطیس ۱۸۲
خاراکسوس ۱۳۵	بیسا ۷
خفرع ۱۲۷ ، ۱۲۸	بیلوبونیز ۱۷۱
خمیس ۹۱ ، ۱۵۶ ، ۱۶۵	بیلوزیوم ۱۵ ، ۱۷ ، ۳۶ ، ۱۴۱ ، ۱۵۴ ،
خنزیر ۱۴ ، ۴۷	بینیلوبی ۱۴۵ ، ۱۴۶
خوڈہ ۱۵۱	بیوشیا ۴۹
خیوس ۱۳۵ ، ۱۷۸	تاخومبیسو ۲۹
دارا ۱۱۰ ، ۱۵۸	تانیس ۱۶۶
دافنای ۳۰ ، ۱۰۷	تراقیہ ۱۱۳ ، ۱۳۴ ، ۱۶۷ ،
دانای ۹۱	تمساح ۶۸ - ۷۰

سایس ۲۸ ، ۵۹ ، ۶۲ ، ۱۳۰ ،	داناؤس ۹۸ ، ۹۱
۱۶۳ ، ۱۶۹	دلٹا ۱۳ ، ۱۵ - ۱۸ ، ۴۱ ، ۵۹ ،
سباکو ۱۳۷ - ۱۳۹ ، ۱۵۲	۱۷۹ ، ۹۷
سبینیتوس ۱۷ ، ۱۵۵ ، ۱۶۶	دلفی ۱۳ ، ۱۵ - ۱۸ ، ۴۱ ، ۵۹ ،
سربونی ۶	۱۷۹ ، ۹۷
سکاماترونیموس ۱۳۵	دودونا ۵۲ ، ۵۵ ، ۵۷ ، ۵۸
سکیٹیا ۲۲ ، ۱۰۳ ، ۱۱۰ ، ۱۶۷	دوریون ۱۷۸
سکیٹیون ۱۰۳	دیوسقوروی ۴۳ ، ۵۰
سمک ۳۷ ، ۷۲ ، ۷۷ ، ۹۲ ، ۹۳	دیومیدیس ۱۱۶
۱۴۹	دیونیسوس ۲۹ ، ۲۹ ، ۴۲ ، ۴۷ - ۴۹ ،
سمیرنا ۱۰۶	۵۲ ، ۱۴۴ ، ۱۴۶
سمیلی ۱۴۵ ، ۱۴۶	دیمیتیر ۱۲۲ ، ۱۲۳ ، ۱۵۶ ، ۱۷۱
سنخاریب ۱۴۱	رامبسنیتوس ۱۲۱ ، ۱۲۲ - ۱۲۴
سوریا ۱۲ ، ۲۰ ، ۳۰ ، ۱۰۴ ، ۱۰۶	رودوبیس ۱۳۴ ، ۱۳۵
۱۵۹	رودس ۱۷۸
سولویس ۳۱	زیت الخروع ۹۴
سیٹوس ۱۴۱	زیوس ۱۳ ، ۲۹ ، ۴۲ ، ۴۴ ، ۵۵ ،
سیرتیس ۳۲ ، ۱۵۰	۷۴ ، ۸۳ ، ۱۱۶ ، ۱۳۶
سیموستریس ۱۰۲ - ۱۰۴ ، ۱۰۶ -	۱۴۶ ، ۱۷۸ ، ۱۸۲
۱۰۸ ، ۱۱۰ ، ۱۱۱ ، ۱۳۷	ساردا نابللوس ۱۵۰
سینوب ۳۴	سارڈیس ۱۰۶
سیوف ۱۷۲	سافو ۱۳۵
صور ۴۴ ، ۱۱۲ ، ۱۶۱	ساموٹراقیا ۵۱
صولون ۱۷۷	ساموس ۱۴۸ ، ۱۶۸ ، ۱۷۸ ، ۱۸۲

کانوبی ۱۵ ، ۱۷ ، ۱۱۳ ، ۱۷۹	صیدا ۱۱۶ ، ۱۶۱
کرکاسوروس ۱۵ ، ۱۷ ، ۹۷	طروادة ۱۲۰ ، ۱۴۵
کیکی ۹۴	طیبة ۳ ، ۹ ، ۱۵ ، ۵۴ - ۵۶ ، ۵۸
لابیرنث ۱۴۸	۶۹ ، ۷۴ ، ۹۱ ، ۱۴۳ ، ۱۶۶
لادیکی ۱۸۱	طیفون ۱۴۴ ، ۱۵۶
لیبیا ۱۵ - ۱۸ ، ۲۴ - ۲۶ ، ۵۴ -	فاربايئوس ۱۶۶
۹۹ ، ۹۱ ، ۷۷ ، ۶۵ ، ۵۶	فارناسیس ۱
۱۶۱ ، ۱۵۸ ، ۱۵۰ ، ۱۲۴	فاسیس ۱۰۳
لیطو ۵۹ ، ۸۳ ، ۱۵۲ ، ۱۵۵ ، ۱۵۶	فاسیلیس ۱۷۸
لینوس ۷۹	فاللوس ۴۸ ، ۴۹ ، ۵۱
ماجدولوس ۱۵۹	فریجیون ۲
ماریة ۱۸ ، ۳۰	فوکایا ۱۰۶ ، ۱۷۸
ماکرونیون ۱۰۴	فیروس ۱۱۱
مانیروس ۷۹	فیلیتیون ۱۲۸
مایاندر ۳۹	فینیقیة ۳۲ ، ۴۴ ، ۴۹ ، ۵۴ ، ۵۶ ، ۷۹
مباریات ۹۱	فینیقیون ۱۱۳ ، ۱۱۶ ، ۱۰۴
مرتزقة ۱۵۴ ، ۱۷۸	قریان ۱۳۵ ، ۱۷۵ ، ۱۸۰ ، ۱۸۲
مروی ۲۹	قط ۶۶ ، ۶۷
مسلة ۱۱۱ ، ۱۷۰	قمبیز ۱
ملطیة ۳۳ ، ۱۵۹ ، ۱۷۸	قنوات ۱۰۸ ، ۱۵۸
ممنون ۱۰۶	کادمیون ۴۵ ، ۴۹
منف ۳ ، ۸ ، ۱۰ ، ۱۲ - ۱۴ ، ۹۷ ،	کادیقیس ۱۴۹
۹۹ ، ۱۱۲ ، ۱۱۵ ، ۱۱۹	کلاسیریس ۱۶۴ - ۱۶۸

نیقوس ۱۵۲ ، ۱۵۸ ، ۱۵۹	۱۵۸ ، ۱۵۴ ، ۱۵۳ ، ۱۵۰
نینوی ۱۵۰	۱۷۶ ، ۱۷۵
ہالیکارناسوس ۱۷۸	مفزع ۱۲۹ - ۱۳۳ ، ۱۳۶
ہرقل ۴۲ ، ۳۳ - ۴۴ ، ۸۳ ، ۱۱۳	مندیس ۱۴۵ ، ۴۶ ، ۴۲
ہرمس ۱۴۵ ، ۱۳۸ ، ۵۱	موفی ۲۸
ہرموبولیس ۶۷	مومفیس ۱۰۱ ، ۱۳
ہلیوس ۷۳ ، ۵۹	مویریس ۱۴۹ ، ۱۴۸ ، ۶۹ ، ۴
ہلیوبولیس ۷ ، ۳ - ۹ ، ۵۹ ، ۶۳	میتیلینی ۱۳۵
۷۳	مینا ۹۹ ، ۴
ہومیروس ۱۱۷ ، ۱۱۶ ، ۵۳ ، ۲۳	مینیلوس ۱۱۹ ، ۱۱۸ ، ۱۱۶ ، ۱۱۳
ہیرا ۱۷۸	میکفوریس ۱۶۶
ہیسبودوس ۵۳	میلامبوس ۴۹
ہیفایستوس ۳ ، ۹۹ ، ۱۰۱ ، ۱۰۸	ناٹوس ۱۶۵
۱۱۰ ، ۱۱۲ ، ۱۲۱ ، ۱۳۶	نسامونیون ۳۳ ، ۳۲
۱۴۱ ، ۱۴۷ ، ۱۵۱ ، ۱۷۶	نوقراطیس ۱۸۰ - ۱۷۸ ، ۱۳۵ ، ۹۷
ہیکاتیوس ۱۴۳	نیابولیس ۹۱
ہیکتور ۱۲۰	نیتوکریس ۱۰۰
ہیلین ۱۱۲ ، ۱۱۳ ، ۱۱۵ - ۱۲۰	نیسا ۱۴۶

* المشتمل

- ١- غزو قمبيز لمصر
٢- ١٣ وصف مصر
١٤ الزراعة في مصر
١٥- ١٨ حدود مصر
١٩- ٣١ النيل
٣٢ داخلية ليبيا
٣٣- ٣٤ مقارنة بين نهري النيل والطونة
٣٥- ٣٦ العادات المصرية
٣٧- ٤٨ الطقوس الدينية
٤٩- ٥٧ الصلوات بين الدين
المصرى والدين اليونانى
٥٨- ٦٤ الأعياد المصرية
٦٥- ٧٦ الحيوانات المقدسة في مصر
٧٧- ٨٤ الحياة اليومية في مصر
٨٥- ٩٠ الجنائز
٩١ عبادة برسيوس
- ٩٣- ٩٥ عادات سكان إقليم المستنقعات
٩٦ السفن المصرية
٩٧ الملاحة الداخلية في وقت الفيضان
٩٩- ١١١ مينا وخلفاؤه
١١٢- ١٢٠ قصة هيلين
١٢١- ١٢٢ رامبسينيتوس
١٢٣ تناسخ الأرواح
١٢٤- ١٣٥ بناء الأهرام
١٣٦- ١٤٣ الأحباش في مصر
١٤٤- ١٤٦ عهد الآلهة
١٤٧- ١٥٢ الآلهة الاثنى عشر
١٥٣- ١٦٩ أسرة بسماتيك
١٧٠ قبر أوزوريس
١٧١ العقائد السرية المصرية
١٧٢- ١٨٢ أمازيس

* الرقم يشير إلى الفصل.

٢٠١٣/٤٦٢٢

رقم الإيداع

الترقيم الدولى 6-7767-02-978-978

١/٢٠١٣/٢٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)